

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري

قسم فلسفة



العنوان

الحرية والدولة عند ميخائيل باكونين

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص فلسفة سياسية

-تحت إشراف :

أ.منصر محند شريف

-إعداد الطالبان :

شريف زينب

خابر إيدير

السنة الدراسية 2015-2016

-مذكرة تخرج ماستر تحت عنوان :

العنوان

الحرية والدولة عند ميخائيل باكونين

-خطة البحث :

الفصل الأول : الحرية الفردية مابين الإرهاب السياسي والثورة

المبحث الأول : الديكتاتوريات والسياسة أمام مسار حرية الأفراد

المبحث الثاني : الثورة والحرية الفردية

-الفصل الثاني : حرية العمال ومبدأ الاستغلال

المبحث الأول : مصير حرية العمال في ظل وجود الدولة

المبحث الثاني : الهيمنة البورجوازية في تبديد مسار البروليتاريا

-الفصل الثالث : الدولة والدين ومصير حرية الشعوب مابين(باكونين وبرودون)

المبحث الأول : الدين ضد حرية الشعوب

المبحث الثاني : سلطة الدولة وتكريس مبدئ العبودية

خابر إيدر

شرفي زينب

الإهداء

أهدي تحياتي إلى كل عائلتي بما فيها أبي، وأمي اللذان ساعداني ماديا ومعنويا في إنجاز
المذكرة، كما أهدي تحياتي إلى كل أصدقائي في الجامعة أمقران، رابح، كريم وإلى رفيقتي
في المذكرة زينب، وإلى كل أساتذة الفلسفة، خاصة إلى الأستاذ المشرف محند شريف كما
أهدي تحياتي إلى خطيبي العزيزة صافية، وإلى كل من ساهم في تشجيعنا ومساعدتنا.

خابر إيدير

الإهداء

أهدي تحياتي إلى كل عائلتي بما فيها أبي، وأمي كما أهدي تحياتي إلى كل أصدقائي في الجامعة وإلى رفيقي في المذكرة إبيدير، وإلى كل أساتذة الفلسفة، بما فيهم الأستاذ المشرف محند شريف .

شريقي زينب

شكر و عرفان

نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة، البعيد والقريب ونتقدم
بجزيل الشكر إلى أستاذنا، ومشرفنا في المذكرة الذي لم يبخل علينا بالمعلومات كما نتقدم
بجزيل الشكر إلى كل أقسام الفلسفة، وخاصة قسم السنة الثانية ماستر وإلى كل الزملاء
والزميلات وكل أساتذة الفلسفة .

خابر إيدير

شرفي زينب

المقدمة

مقدمة

إشكالية الحرية والدولة هي من أقدم الإشكاليات الفلسفية التي ظهرت في مجمل النظريات والأبحاث المتعددة من الحضارة اليونانية، إلى عصرنا الحالي فهي بذلك مدخل رئيسي لفهم مجال الفلسفة السياسية .

-فالحرية مفهوم واسع لا يمكن لأي نظرية أن تحدده فهو محض الدراسات الفلسفية، وعلم الاجتماع وهذا لكونه متصل تماما بالعلم، والقيم الأخلاقية بل وبالطبع هي التي تحددها وإضافة إلى ذلك فإن إشكالية الحرية أيضا لا يمكننا فهمها، إلا في نطاق الوجود الإنساني فإنها ليست واقع معين أو حقيقة من الضروري أن نتقبلها بل، وبالأخص إنها عبارة عن تشكيل روحي يعبر عن قدراتنا الذاتية.

-فالدولة أيضا من المفاهيم الرئيسية في الفلسفة السياسية فهي أيضا تتجسد من خلال، وجود الأفراد ولذلك فقد اختلفت النظريات الفلسفية في تعريفها منذ اليونان إلى العصر الحالي، فقد عرفها "ابن خلدون" : "على أنها ظاهرة في كل مرة تنتهي فيها الدورة السياسية".

ففي نظره لا دائمة، ولا مستقرة أما عند "أرسطو" : "فالدولة هي ذلك المجتمع من الأفراد الذي يتألف ابتغاء تحقيق مصلحة عامة". أما عند "ميكافيلي" : "فالدولة هي مجموعة المنظمة المخولة بما تملكه من سلطة فعلية للتحكم في استعمال القوة، على شعب معين في إقليم معين".

-يتجسد أيضا تعريف 'دوجي ودي مالبيرج': "أنها مجموعة من الأفراد تستقر على إقليم معين تحت تنظيم خاص يعطي جماعة معينة، فيها سلطة عليها تتمتع بالأمر والإكراه"
-لبأس أن نأخذ بعض التعريفات التي جسدها فلاسفة ومفكرين حول الحرية فعند 'كانط':
"يرى الحرية هي حرية الإستقلال الذاتي، وهي تلك الحالة التي يتصف بها الفاعل الأخلاقي عندما يضع لنفسه قاعدة". فعله فمن خلال هذه التعريفات كلها التي أخذناها عند الفلاسفة القدامى، والمعاصرين فقد كان باكونين من أهم الفلاسفة الفوضويين الذين إهتموا بهذه الإشكالية أي إشكالية الحرية والدولة، ففي نظر هذا الأخير فإن الحرية تتخذ إتجاه معاكس للدولة فكلاهما يقومان على قواعد مختلفة فإما أن تسود الدولة، أو تسود الحرية ولذلك فقد إعتبر الدولة ككيان مستقل تماما عن حرية الأفراد، ولذلك فمن الضروري إزالته حاضرا ومستقبلا وعلى هذا الأساس فقد وجدنا أن فلسفة باكونين قد أعطت لنا معني أكثر فهما ووضوحا لمسألة الدولة والحرية وهذا مايدفعنا إلى طرح الإشكال التالي :

-هل يمكن أن يكون يسود مفهوم الحرية في ضل وجود الدولة؟

-في هذا السؤال نتطرق إلى الإجابة عنه، وذلك من خلال المعاني المختلفة التي نجدها في كتبه الرئيسية (الدين الدولة، التعليم المسيحي للثورة، وغيرها من الكتب)، وهذا في سبيل الوصول إلى نتيجة نهائية للسؤال المطروح، ومن هنا نضع مجموعة من الفرضيات التي تساعدنا على حل الإشكالية :

1-الدولة ألية لتدمير حرية الأفراد بكل أنواعها .

2-فكرة الحرية حق طبيعي وليس حق مدني.

3-الدين مؤسسة لتدمير إرادة الأفراد في حرياتهم .

-فقد إهتدينا إلى الرجوع إلى نصوص باكونين،والتي تتعلق بإشكالية الدولة والحرية وهذا

في سبيل تحليل الأفكار الرئيسية التي تحتويه كتبه فمن خلال ذلك إهتدينا إلى إستعمال

المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الأفكار ،وإعادة تركيبها من أجل الوصول إلى حل

الإشكال.

-فقد قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول ففي الفصل الأول، عرضنا الجانب الفكري

لباكونين فيما يخص مسألة الحرية الفردية، ومسارها أمام الأنظمة السياسية الديكتاتورية

التي تنتجها الدولة والسبيل الأمثل للتخلص من هذه الهيمنة.

-أما في الفصل الثاني فقد تطرقنا إلى تحديد مجال آخر للحرية، وهو حرية العمال التي تمثل

طبقة مهمة في المجتمع البشري ،ومختلف العراقيل التي تتعرض لها هذه الأخيرة في

ظل وجودها في الدولة وأخيرا في الفصل الثالث ،جسدنا مصير حرية الشعوب في ظل

وجود الدين والدولة، وذلك من خلال عرض الأفكار الرئيسية لكل من باكونين وبرودون

حول هذه المسألة .

-الدراسات السابقة :

-لقد إعتدنا في بحثنا هذا على مجموعة من الدراسات التي أنجزت ونذكر منها مذكرة بعنوان: " **libertè et histoire chez mikhail bakounine** " والتي أنجزت في جامعة : nancy2 من قبل : jean-christophe ancant

-الصعوبات :

-لقد تلقينا صعوبات كثيرة منها عدم توفر المادة العلمية، في مختلف الجامعات الجزائرية كما تلقينا صعوبات في الوقت أي ما بين، وقت الإمتحانات وإنجاز المذكرة.

-أهداف البحث :

إن هدفنا من هذا البحث هو الوصول إلى تحليل الفكر الفلسفي ،لميخائيل باكونين حول مسألة الحرية والدولة، وأيضا حتي يتمكن الآخرون من التعرف عليه أكثر بكونه موضوع لم تسبق إنجازة في جامعتنا.

-أهمية البحث :

تظهر أهميته في التعرف أكثر عن الفكر الفوضوي، أي حقيقة هذه النظرية والتعرف أكثر على الحالة الإقتصادية، والإجتماعية التي نشئ فيها هذا التيار

الفصل الأول

الحرية الفردية مابين الإرهاب السياسي والثورة

-المبحث الأول : الديكتاتورية والسياسة أمام مسار حرية الأفراد

المبحث الثاني : الثورة والحرية الفردية

تمهيد

مسألة الحرية هي من المواضيع التي طرحتها الفلسفة السياسية، والتي إهتمت بها النظريات الفلسفية في مجملها وعليه فإن هذا الموضوع، من المسائل المهمة عند الفوضويين وخاصة الحرية الفردية التي دافع عنها ميخائيل باكونين .

المبحث الأول

الديكتاتورية والسياسة أمام مسار حرية الأفراد

يؤكد باكونين على أن تحول الإنسان من الحالة الطبيعية, إلى الحالة المدنية لايشترط وجود دولة ولكن صفة هذا الانتقال يجب أن يكون على أساس, احترام حقوق الإنسان التي جسدتها الطبيعة له في الحالة الأولى وإن كان العكس, فإن هؤلاء الأفراد المنعزلين من طرف سلطة الدولة سوف يكون لهم الحق في الانقلاب ضدها وما يثبت ذلك قوله :

“الأفراد الذين يجيدون أنفسهم خارج هذه الدولة والذين تهدد هذه الدولة وجودهم وحياتهم يجب بدورهم أن يجتمعوا ضدها¹.”

-فوجود العقد الاجتماعي شرط لوجود الاستبداد ،واستعباد الأفراد وذلك في ضل تكوين سلطة الدولة ويظهر ذلك عند باكونين في تمزق الإنسانية إلى دول أجنبية متباعدة متصارعة وإن وجد هذا العقد على أسسه الحقيقية ،التي نص عليها أصحاب العقد الاجتماعي لعاشت البشرية في دولة واحدة ولحققت المساواة،والعدالة الاجتماعية بين هؤلاء الأفراد وهذه هي متطلبات الإنسانية وفي هذا الصدد يقول باكونين :

“الدول الأجنبية المتعادية والتي تهدد بعضها البعض ليس هناك حق عام ولا عقد اجتماعي بينهما لأنه إذا وجد مثل هذا العقد والحق ستكف الدول المختلفة على أن تكون مستقلة بشكل مطلق عن بعضها وستصبح أعضاء متحدين في دولة واحدة كبرى².”

في الواقع إن القوة والحرب ركيزتان أساسيتان تقوم عليهما دولتان متكافئتان في القوة، إذ

¹ MIKHAIL BAKOUNINE, society and freedom, edition Bakunine on anarchy, russia,1871 ,p01.

² -IBIDEM.

أن التنافس بينهما قد يخلق نوع من الصراع؛ وذلك بسبب الملكية وعلى أساس هذا التنافس تتجسد لنا دولة واحدة تتغلب على الدولة الثانية المعارضة لها فسوف تقوم هذه الأخيرة بالمقاومة. وجود هذه الدولة المنتصرة يستوجب بالضرورة العبودية والاستغلال وهذا في ظل تحقيق المصلحة والمنفعة لصالحها، ولذلك فإن الواجب في ظل الدولة بصفة خاصة لن يكون إلا لشعوبها، فهذه الأخيرة لا تمتثل لأي واجب اتجاه هذه الشعوب. وإن دعت إلى التسامح والمساواة والعدالة الإنسانية فهذا بالضرورة يستلزم منفعة خاصة لتحقيقها؛ ولذلك فمن واجب كل فرد أن لا يتعرض لمثل هذا الاستغلال وأن يناضل ضد وجود أي دولة معينة، في هذا الصدد يقول **باكونين** :

”فليس للدولة أية واجبات اتجاه الشعوب الأجنبية، وإذا قامت عندها بمعاملة شعب مغلوب بشكل إنساني فلن تذهب إلى ابعده مدى في سبيل إرادته فإنها تفعل ذلك ربما بسبب اعتبارات نفعية”¹.

-إن الدولة التي تنادي بالفضائل الإنسانية من عدالة وأخلاق سوف تقوم بمحاسبة كل من يعارض هذه الفضائل التي جسدها في قوانين وديساتير قضائية؛ وعليه فإن هذا يتناقض أساساً مع ما تدعو إليه في من يعارض سلطتها، ولذلك فإن الدولة عند **باكونين** شكل من أشكال العنصرية، مستمد أساساً من معارضة حرية الفرد. وقد كونت فقط لتحقيق أهداف معينة مسبقاً .

¹-مازن الماز، الأخلاق فضائل الدولة لميخائيل باكونين، أبحاث يسارية وإشتراكية وشيوعية، دمشق، العدد 2554، فيفري 2009، ص02.

-إن أية دولة تقوم بكل الوسائل التي تكون أمامها؛ وهذا بقصد الحفاظ على سيطرتها، ومن أهم هذه الوسائل التحالف مع الدول المجاورة، وذلك بالخضوع إلى نظامها وإتباعها. وعلى هذا الأساس، فهي تبني سلطة الإله الحضاري الذي يكون أحد آليات التوسع والسيطرة وهذا ما يتجسد أساسا في العهود القديمة، أين عملت الدولة على استغلال هذه الشعوب، هذا من خلال الإيمان بفكرة الآلهة والإخلاص للنظام السلطوي، وعلى هذا الأساس قال باكو نين :

"إن الدولة هي نفي الإنسانية ؛ تريد أن تفرض نفسها على هذه الأخيرة كهدف

نهائي ويمكن فهمه بسهولة في الأزمنة القديمة"¹.

-لذلك فإن موضع الدولة قديما يقوم أساسا على النهب، وتجريم كل من يعارض سياسة الدولة القوية، وهذا لعدم وجود أية فكرة عن الإنسانية، ولذلك فإن تطور وسائل الإعلام وتطور الوعي الإنساني قد جسد لنا فكرة الإنسانية حتى عند الشعوب البربرية. فإن الدولة لا يمكنها أن تحترم مبادئ الإنسانية؛ وهذا لكونها تهدد مصالحها الخاصة ولذلك فإن تحقيق هذا المبدأ (الإنسانية) لا يتجسد إلا من خلال إسقاط الدولة وحلها نهائيا وعلى هذا الأساس قال **باكو نين**: "الدولة التي تحسب حسابها لا يمكن أن تخضع لها(للإنسانية) بإرادتها الحرة، لأن إذا كان كهذا من جانبها السياسي لانتحارها، حيث أن انتصار الإنسانية يمكن أن يتحقق فقط من خلال تدمير الدولة"².

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, **la morale de l'état**, edition marxiste, genève, 1873, p12.

² -MIKHAIL BAKOUNINE, **lettre a Elisée reculs**, traduit par(SAM pouglof 1971).,suisse,edition :bakunine on anarchy, 1875,p01

بهذا قد بين لنا باكونين الحيل التي تقوم بها الدول القائمة على القوة والمكر، وهذا لإعلان الحرب على الشعوب الضعيفة، من أجل تحقيق أهدافها التي تتمثل في استغلال الثروات، وإخضاع هذه الشعوب إلى الاستعباد ولكي تحقق كل تلك الأمور سوف تقوم أولاً بتجسيد بياناتها التي تدعو فيها إلى احترام الميثاق الإنساني من عدالة ومساواة. وكل تلك الأقوال في الأخير ماهي إلا نوع من الخداع والتلاعب بعقول الضعفاء. وعلى هذا الأساس قال باكونين :

”لذلك الذي نراه في كل مرة فيه دولة ما من أجل إعلان الحرب على دولة

أخرى، فإنها تبدأ بإطلاق بيان لا يوجه فقط إلى أتباعها بل إلى العالم بأكمله“¹.

-بالمقابل يوضح لنا باكونين أن المدركين يعملون بقصار جهدهم من أجل الكشف عن هذه الأكاذيب المزيفة التي تقوم عليها هذه الدول؛ ولذلك فإن هذه الأخيرة بالمقابل سوف تقوم بالدفاع عن مكانتها وذلك بكل الوسائل الإجرامية والقمعية ضد هؤلاء المناضلين، إذ قال :

”المدركون كل من يملك بعض الخبرة السياسية لا يتجشمون حتى عناء قراءة مثل

هذه البيانات على العكس تجدهم يبحثون عن وسائل للكشف عن الصالح أن تشعر الدولة بأنها قوية بما يكفي لتدمير هذا التوازن لمصلحتها“².

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, L'empire knouto germanique et la révolution social, edition carouge, Genève, 1870, pp01-02.

² -IBIDEM.

فمن هذا كله فإن الدولة نفي لكل ما نسميه الحرية؛ كونها تقوم دائما على الخداع والسرقة والنهب والاعتصاب والخدعة والعنف... الخ. هذا ما عملت به الدولة منذ نشأتها حديثا وقديما وهذا ما أكدته لنا الأحداث التاريخية التي وضحتها لنا باكونين في ضرب مثال :
الإمبراطورية البونابرتية، فقال :

"القسوة والوحشية لم توجد أبدا في معايير الشعب الفرنسي خصيصا في المعايير البونابرتية للمدن الفرنسية فلو بقي بعض البونابرتين يجب البحث عنهم؛ وهذا بالمقابل إن القضاء على هذه الإمبراطورية أساس لبناء الحرية للمجتمع الفرنسي بصفة عامة"¹ و قال أيضا :
" إن هناك سبيل واحد لفعل ذلك وهو اعتقال وسجن أولا كل الكتل الإمبراطورية في باريس والمحافظات التي تنتمي إلى الإمبراطورية البونابرتية والجنرالات والعقلاء والأساقفة والقضاة"².

-يوضح باكونين من جهة أخرى أن الديكتاتورية والدولة شكليتان مستبدتان لحرية الفرد، ولا يمكن لأي حرية كانت أن تقوم على أساس وجودهما؛ ولذلك فإن السبيل الوحيد لتشكيل الحرية في مفهومها الحقيقي هو الامتثال للثورة ضدهما، وهذا ما تمثله لنا نظرية الأنكاريست (الفوضوية) التي تؤسس الحرية وتحافظ عليها.

-لذلك فإن مراوغاتهم وحيلهم (أي رجال الدولة) والتي تقوم أساسا على العلم وحده والذي جعلته طيف عبودي لكل المجتمعات. ولكن لا يقصد باكونين بمحاربة العلم بل بالعكس فإنه

¹ - MIKHAIL BAKOUNINE, la morale de l'état, op.cit,p14.

يجعله المرجع الأول لتطور المجتمعات، لكنه بوجود الدولة سوف يتحول إلى ديكتاتورية.
لذلك قال :

“سيادة العلم على الحياة لا يمكن أن تكون له نتيجة إلا وحشية الجنس البشري؛ نحن
الأنكاريون الثوريون نؤيد التعليم لكل الشعوب إلا أننا أعداء الدولة وكل شكل من أشكال
سيطرة الدولة”.¹

-يوضح **باكونين** على أن كل من يتوسط وينصاغ لما تأسسه الدولة من قوانين وديساتير
فسوف يصبح هو العبد الأول لها، في المقابل يصبح أولئك الذين يكونون هذه القوانين
طغاة ومستبدين لهم ،وعلى هذا الأساس قال :

“أولئك الذين يجبرون على الخضوع لها فالنتيجة الضارة للفئة الأولى يتحولون لمستميتين
طموحين طغاة ومستغلين للمجتمع من أجل مصالحهم أما الآخرون فيبقون عبيدا”.²

-يؤكد **باكونين** من جهة أخرى أن كل من في شارك في العلم سوف يقع بالضرورة في
شرك الدولة وهذا ما بينه لنا الوضعيون والميتافزيقيون، والعقائديون الذين يؤيدون فكرة
الدولة أملا منهم أن تكون المنبع الأول لتتوير المجتمعات، وإنقاذها وحمايتها ولكن هذا لا
مجال له من الوجود لكون أن قوانين هذه الأخيرة تتناقض تماما مع متطلبات الحرية
الاجتماعية،وعلى هذا الأساس فأولئك المنخدعون من طرف هذه الديكتاتوريات التي تعتبر
أحد أسلحة الدولة الأكثر خطورة بالنسبة للمجتمع البشري، والتي يسمى نفسها بالجموع

¹-MIKHAIL BAKOUNINE,*l'empire knouto germanique et la révolution social*,op.cit,p12

²-IBIDEM.

الشعبية فإنها في حقيقة الأمر لا تلبى إلا متطلبات الاستبداد والاستغلال اللذان تجسدهما الدولة بطريقتها.

على هذا الأساس، إن الجموع الشعبية القليلة المنخدعة فسوف تستعين بها الدولة لتغطية كل مفسدها وأكاذيبها؛ وبذلك فإنهم يساعدون على بناء هذه الديكتاتوريات بدون أن يعلموا ذلك وعلى ذلك قال باكونين :

“ فالدكتاتوريون الثوريون يقيمون إلى قلب الثورة الحالية ليبنوا على أطلالها ديكتاتوريتهم؛ لم ولن يكونوا أعداء للحكومة بل على العكس هم مؤيدو الحكومة لأنه في حال دمرت طريقة التمثيل الكاذب لهذه السلطة سوف تستخدم لتغطية سيادة الشعب من أقلية منتخبة من جموع شعبية مخدوعة لا تعرف لمن ولماذا تنتخب”¹.

إن حرية الفرد لن تتحقق إلا بإسقاط مفهوم الدولة الذي يطور مفهوم العبودية، ويحصر الحرية بين الصراع من جهة، ودفعه إلى العمل لتحقيق مصالح الطبقة من جهة أخرى. في ظل وجود السلطة في أيدي الأقلية البورجوازية، والاشتراكية الديكتاتورية، فإن الحرية لا يمكن لها أن توجد ولتأكيد ذلك يقول باكونين : “إن وجود الدولة يشترط وجود عبودية لذلك لا يمكن الحديث عن الحرية دون التحرر المسبق عن الدولة فإن الدولة شرط وجود سيادة الإنسان على الإنسان”².

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, la commune de paris et l'idee de l'état ,edition bakounine on anarchy, geneve ,1871,p06.

² - IBIDEM.

لذلك فإن الاغتراب(الاستلاب) شرط أساسي من شروط وجود دولة؛ وهذا يظهر ببساطة في الأجهزة القمعية، سواء الفكرية أو الفزيولوجية، وهي ضد وجود الفرد في المجتمع ولذلك فإن هذا الأخير سوف يتبع تلك الدولة رغما عنه نتيجة شعوره الهزيمة والإذلال، وإن كانت هناك مجموعة من الأفراد الواعين بخطورة هذه السلطة فسوف تقوم الدولة بكل قواها لتقضي عليهم.

-إن الدولة شكل عبودي مستغل لهذا الفرد الذي يبحث دائما وأبدا عن حريته ، ولكن بكونه مجتمعا في ظل هذه السلطة القهرية، فإن مشروع الحرية الذي هو بصدد البحث عنه لن يتحقق. ولذلك فإن باكونين يؤكد رفضه التام لهذه "الكينونة" التي تستعبد هذه الحريات الفردية في ظل سيادة قوانينها على الأغلبية الضعيفة، وتقديس الأقلية الغنية. وعلى هذا الأساس فإن كل الأنكاريين ضد كل سياسة تجسد أركان هذه الأخيرة أي الدولة، ولذلك فالعصيان يكنه هؤلاء المدركين ضد هذه الممارسات الديكتاتورية. إنها بالمقابل سوف تبالغ في تكذيب واتهام هؤلاء بأنهم متمردون وإرهابيون ولذلك قال باكونين :

"لذلك جراء الحرية تم تكذيبنا وهجاؤنا، واتهامنا بأننا رفضنا هذا التواطؤ السياسي؛ ومن خلال الدولة ستننتج سلطة فوقانية لا يوجد المجتمع بدون سيادتها لذلك سيبحث هذا الفرد طيلة حياته على سيد سياسي يعيد له حريته. الدولة هي كما قلت مقبرة هائلة تدفن فيها جميع

مظاهر الحياة الفردية".¹

¹ MIKAIL BAKOUNINE, pour les camarades de l'association des travailleurs collectives locales et chaux –de – fonds ,geneve,journal de progrée ,1869,p04.

المبحث الثاني

الدولة هي المقبرة التي تدفن فيها جميع حريات الأفراد هذا هو تعبير باكونين عن المأساة التي يتعرض إليها الأفراد والتي تتمثل في فقدان جميع حرياته في ضل وجود الدولة وعليه فإن الفكر الأنكاري عند باكونين بصفة خاصة تنفي وجود الدولة وهو بذلك يدعوا إلى القضاء نهائيا عليها ،كليا وهذا من خلال الثورة عليها وعلى مؤسساتها فإن الثورة عند هذا الأخير لا يمكنها أن تتحقق إلا من خلال شموليتها أي تقوم في كل المجتمعات كلها ولذلك قال :

"لذلك عندما نقوم بثورة يجب أن نثور على ملكية الدولة".¹

-أي أن الثورة التي يقوم بها الأفراد ،يجب أن تكون على أساس منظم تلغي كل أملاك الدولة ،وهذا هو السبيل في إسترجاع حرياتها فالثورة عند هذا الأخير أيضا لا يجب أن تكون ضد الأفراد بل يجب أن تكون ضد الهيمنة التي تجسدها الدولة ومؤسساتها والتي تتجسد عموما في النظريات السياسية المساندة لها .

-إن كل النظريات السياسية التي تنشئها أجهزة الدولة من أحزاب سياسية، وجمعيات ماهي في نظر باكونين إلا وسائل تستخدمها الدولة لتحقيق مصالحها الشخصية ولذلك فإن مجمل المساوي التي يتعرض إليها الأفراد إنه من إنتاج هذه النظريات، والأجهزة الخادمة للدولة وهنا يظهر قول باكونين :

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, status secrets de l'alliance, (son edition), paris ,1868,p22.

"يجب أن نعلم أن جميع الأفراد الجيدون منهم والسيئون ليسوا إلا إنتاج الأوضاع الاجتماعية والتاريخية"¹.

فمن هنا فإننا نستخلص أن باكونين، يؤكد أن قضية الحرية ماهي إلا قضية التحرر من كل عبودية كانت، سياسية وإجتماعية فالفرد عند هذا الأخير له الأسبقية في الوجود ولذلك فإن التعدي على حريات الأفراد، يجب أن يكون الرد عليه مباشرة وهذا من خلال الثورة على هذه الأجهزة المهيمنة .

لذلك فإن مهمة السياسي عند باكونين يجب أن تكون على أساس إحترام مبادئ الحريات للأفراد، لا على أساس إحترام مصالحه الخاصة فهذا يتعارض تماما مع الحريات الفردية، وعلى هذا الأساس فإن مهمة هؤلاء تكون عن طريق قيادة الجماهير الشعبية نحو الثورة، وهذا من خلال تحفيز الجماهير الشعبية على القيام بالثورة في سبيل تحقيق حرياتهم وهنا تجسد قول باكونين :

"الثورة كانت في محلها فالسياسة لها هدف وهو بناء الدولة فالذي يقول الدولة قال الهيمنة"².

-فإن موضوع الحرية الفردية إنه في حقيقة الأمر عند باكونين ماهو إلا موضوع الثورة، التي تكون الأمثل في تحقيق الأفضل للأفراد، في جميع المجالات فالعمل والتعليم هما من

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, status secrets de l'alliance, op. cit, p22

² -MIKHAIL BAKOUNINE, circulire a mes amis d'itali, bibliothèque sociologique. n°4 , p-v stock, paris, 1871, p308.

الحقوق الرئيسية التي يجب أن يطالب بها الأفراد وذلك من أجل تحقيق خبرة أكبر للدفاع عن حرياتهم ضد الهيمنة التي تفرضها الدولة وعلى هذا قال :

"الحرية لا يمكنها أن تكون إلا من خلال الحرية"¹. أي أن الحريات الفردية لا يمكنها، أن تكون مقسمة كما يدعيها أولئك الذين يساندون مبادئ وجود الدولة ومؤسساتها، أي أصحاب العقد الإجتماعي فالحرية عند باكونين يجب أن تكون ملك لجميع الأفراد وهذا ما يؤكده لنا من خلال الثورة التي قام بها شباب روسيا ضد الإضطهاد الذي مارسه نيكولا ،وهنا يتجسد قوله :

"ثورة الشباب التي لحقت إلى سيبيريا الجليد قد ذاب وروسيا قد تنفست أخيرا من سنوات الإضطهاد لنيكولا فقد أعلنت مع كل الشباب بداية وقت جديد"².

فإن الدولة عند باكونين لا تمثل أي شئ بالنسبة للحرية الفردية ،بل وبالعكس إنها موضع هيمنة وحاجز رئيسي أمام الحريات الفردية،في كل أنحاء العالم،فإن الحرية ملك للفرد وليست ملك للدولة.

فإن كانت الدولة هي التي تعطي الحريات للأفراد فإنها بالضرورة سوف توزعها على أسس غير مساوية، وهذا ما يوضع الأفراد في موضع إغتراب تحت سلطة الدولة ففي الحالة الطبيعية فقد كان الأفراد يتمتعون بكل الحقوق، وخاصة الحرية ومع تدخل مفهوم الدولة ضاعت هذه الحريات وشتت صفوفهم وحولوا إلى فئات متناحرة،وعلى هذا الأساس فإن

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE,a mes amis russes et polonais,(son edition),1862,p05.

² -IBIDEM.

العودة إلى الحالة الطبيعية هو الأمثل من أجل الحصول على كامل الحريات ،بالنسبة لهؤلاء الأفراد وذلك بعد هزيمة مؤسسات الدولة، والقضاء على السلطات السياسية المهيمنة على الأفراد وإن الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك هو الثورة ،على كل القوانين والقواعد والنظريات التي تؤيد وجود الدولة وعلى هذا الأساس قال :

إنهم هم اللذين قالوا بوجود الحكومة أي عن طريقهم نظمت الدولة، وذلك لممارسة عمل الدولة فكله شر " 1 .

ففي هذه المقولة فإن باكونين ،يؤكد على أن الأولون اللذين نادوا، بوجود حكومة هم اللذين صنعوا مفهوم الدولة الذي قضي ولا زال يقضي على مجمل الحريات الفردية ،وهنا فإن باكونين ينقد أصحاب العقد الإجتماعي ،اللذين نظروا على الدولة وأكدوا على أن مفهوم الدولة مفهوم حتمي لتنظيم الحياة البشرية ففي نظره ،فإن حماية أجهزة الدولة يحتاج إلى قوانين تقوم على التطبيقية من أجل ،جعل الفرد كوسيلة لتحقيق أهداف المسؤولين ،وذلك من خلال المال وكل الإغراءات التي تقدمها الطبقة الحاكمة ،وبذلك فإنها تردع كل من يخالف هذه القوانين ،فإن كل هذا عند باكونين يعتبر كمبدء للسيطرة على الأفراد وإخضاعهم إلى سلطتها.

فإن مفهوم الدولة قد ظهر في الأخير نتيجة تطور النظريات الفلسفية والسياسية التي يريد أصحابها بلوغ مكانة عليا أو بالأحرى حماية مصالحهم الشخصية، ولذلك يؤكد باكونين أن

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, œuvres completes, (son idition), vol.8, paris, p165.

سبيل التخلص من هذه النظريات يكون من خلال القضاء نهائيا على مصطلح الدولة وهنا يقول :

"ليس هناك أي شيء لمثل هذا المصطلح، إلا بإسقاط حكومة الجماهير من الأعلى إلى الأسفل" ¹.

يؤكد باكونين أن العلم وحده هو الذي ينير الحياة الإجتماعية والذي يخلق شعلة الحرية في

الوسط الإجتماعي، وبدونه ستتحول البشرية إلى قطيع عبودي لدولة ولذلك يقول :

"نحن الأنكارين الثوريين، نؤيد التعلم لكل شعب والحرية وأكثر مجال تمديد للحياة

الاجتماعية إلا أننا أعداء الدولة وكل شكل، من أشكال سيطرة الدولة بعكس الميتافيزيقيين

و الوضعين." ²

فإن وجود الدولة عند باكونين سوف تقضي كليا على طموحات الأفراد والقضاء النهائي

على حرياتهم وذلك لأن الدولة وديكتاتوريتها عند باكونين هي وسيلة الاستعباد، فإن أرادت

أن تتحرر الجموع الشعبية نحتاج أولا إلى حرب مع المؤسسين للدولة ، فإن كان المركسيون

ينظرون على أنه فقط عن طريق ديكتاتوريتهم يمكن أن يتحرر، الشعب فاباكونين يؤكد على

أن أي ديكتاتورية لا تهدف إلا للمحافظة على ذاتها بأنها ستولد استبداد الناس والعبودية

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, théorie générale de la révolution ,textes assemblés et annoncés par etienne lesourd ,edition les nuits rouges,paris,2008,parus1871,p1871.

² -IBIDEM.

فمن طريق الإنتفاضات الجماعية والتنظيم الإرادي للناس من القاعدة إلى الأعلى هو السبيل لتحقيق حرية الناس وبذلك فإن نظرية الأناركست المصادين للدولة تقوده ،حتما للصراع مع كل أشكال الدولة ومع خطوط السياسات البورجوازية ،ولا تختار طريق إلا الثورة الاجتماعية، فالنظرية الشيوعية، والسلطوية، وحكم العلماء تجذب ،وتسبب ارتباك الأنصار.

-يؤكد باكونين أن الفرق بين الديكتاتورية الثورية، والدولة بالنسبة لباكونين معدوم فالإثنان يمثلون نفس القاعدة إلا وهي محررة بشكل جموع، فمن خلال الثورة سوف تنتهي بالإعتراف بأن الحرية التي هي عبارة عن قاعدة لتحرير الجموع الشعبية هو الهدف النهائي للأفراد وأن أي دولة، وهو عبارة عن تماثل يتألف من الاستبداد من جهة والعبودية من جهة أخرى.

-فإن تشكيل حكم الأقلية على الأكثرية عند باكونين هو الذي يقضي وبصفة نهائية على جميع حريات الأفراد وهذا ما يفسر لنا غياب العدالة في ظل وجود مفهوم الدولة ،وهذا من خلال أن الفريق الأول يجمع جميع الصلاحيات ويعمل على الحفاظ على الحقوق السياسية والاقتصادية للأقلية السائدة، و العبودية الكاملة للجماهير الشعبية.

لذلك فإن الثورة من الشروط الضرورية للوصول إلى جميع الحريات فإن التمرد الذي تسمية الدولة هو رفض الأفراد لسلطتها المهيمنة على حقوقهم الطبيعية ولذلك قال :

شعور شرعي وطبيعي مبدأ أساسي للحرية تمرد لكل رجل غير راض من أي تدابير مفروضة¹.

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, lettres a un français sur la crise actuel, paris, 1870, p01.

أي أن الثورة من الحقوق الطبيعية للأفراد الذين يتعرضون للضغوطات، وعليه فإن هذه الأخيرة عبارة عن ردة فعل لهذه الممارسات الديكتاتورية التي يتعرض إليها الأفراد وهذا ما تفسره لنا ردة الفعل الذي عملت به الدولة إتجاه المظاهرات العنقوبية، المطالبة بحقوقها وحرياتها فإن موضوع الثورة عند باكونين يجب أن يتخذ حيز تدبير ذكي، فالثورة التي يفضلها هي التي تكون بدون سلاح، ولا عنف لأن ذلك بالنسبة لباكونين سوف يتسبب في إخماد الثورة كلياً وهنا تجسد قوله :

"إن أولئك الذين يستخدمون طريقة مماثلة ستقضي على الثورة بدلا من الإنتصار، ولذلك لا بد من التخلي عن السلاح والإرهاب والعنف"¹.

إن هذه الشروط المختلفة لا تقبل أبدا إنشاء نوع من المنظمات الجديدة، والذي يكون الأكبر يكون بالطبع ضد أخلاق الحرية ومع ذلك فإن الشروط ليست أساسية للمجتمع و لذلك، فقد جسد باكونين مجموعة من الشروط لتحقيق الحرية الاجتماعية ومنها:

1-الإلغاء الراديكالي لكل الديانات وكل الكنائس المتميزة التي كانت محمية من قبل الدولة.

2-حصر دور الكنائس، وذلك في جعلها تتحصر فقط في إدارة شؤونها الدينية ولا تلعب

أي دور في المجال الاجتماعي ولا السياسي.

3-إلغاء وانحلال كل المؤسسات السياسية والقضائية وكل مؤسسات الدولة الأبدية والتي تعد

السبب الرئيسي في المعاملات الوحشية ضد حريات الأفراد.

¹ -MIKHAIL BAKOUNINE, lettre a un français de la crise actuel, op.cit,p02

4-انتخابات فورية ومباشرة لكل الموظفين العموميين القضائي أو الشعبيين كذلك جميع

الممثلين أو المستشارين الوطنية والإقليمية والبلدية من قبل المجتمعات أي بموافقة من قبل كل الأفراد الرجال والنساء البالغين.

بذلك فإن **باكونين** يدعو من خلال هذه الشروط إلى المساواة الفعلية بين كل أفراد المجتمع الواحد وإلغاء كل الفروق الجنسية والفيزيائية والعرقية .

يؤكد **باكونين** أن الثورة ضد الدولة وأجهزتها الاستبدادية يجب أن تكون مقيدة بهذه الشروط

كونها تقوم بتنظيم الأفراد ،وتوحد أهدافهم في تحقيق الحرية ولذلك قال **باكونين** :

"الثورة ضد الدولة أسهل بكثير، لأن هناك شيء ما في طبيعة الدولة نفسها يحرض على الثورة، فالدولة هي السلطة والقوة، إنها التفاخر، فهي تفرض نفسها بالقوة"¹.

-إن الخير والشر صفتان أخلاقيتان، فالدولة باعتبارها المنتهك الشرعي لحقوق الشعوب،

فإنها تفرض هاتين الصفتان بقوانينها، أي بما يخدم مصالحها فمن يعصي هذه القوانين فهو

مواطن خارج عن الفضائل الأخلاقية، وبهذا فهو خارج عن القانون وبذلك سوف يعاقب

ومن ينصاع لمثل هذه القوانين فانه فاضل فيجازى على ذلك.

-إن حرية الأفراد لا يمكنها أن تتحقق في ظل وجود الراديكاليين البورجوازيين الذين

يقومون في الحقيقة بإعاقة طريق التضامن الاجتماعي من أجل تحقيق أهدافهم النفعية، حيث

يقومون باستغلال الأفراد من أجل خدمة مصالحهم، لأن هؤلاء حسب **باكونين** يطلقون

¹-ميخائيل باكونين،الصراعات الدولية،(بدون طبعة)،ترانكس،1872،ص12.

أكاذيب المساواة في الحقوق بين أفراد المجتمع الواحد، إلا أنهم في حقيقة الأمر يخفون تلك المساواة في وسائل الممارسة الجماعية وعلى هذا الأساس قال: "هناك فرق كبير بين الحرية المادية الواضحة التي يشكلها المجتمع وبين الحرية المقيدة المكذوبة التي يتحدث عنها اليوم الراديكاليون البورجوازيون"¹

من هنا فإن الثورة الجماعية التي يقوم بها الأفراد وحدها هي السبيل الذي سوف يشكل تلك الحريات التي يتمكن الفرد من استهلاكها والحصول عليها بصفة عادلة ومساوية، وبدون هذه الثورة الجماعية لن يجد الفرد إلا القهر و الإستغلال، وبذلك توزع هذه الحريات بطريقة متفاوتة .

¹ - Mekhail Bakounine, lettère du la liberté , russe ,édition archive bakounine,1876,p03.

الخلاصة

الخلاصة

من هنا إستخلصنا أن الديكتاتورية، والسياسة من إنتاج مفهوم الدولة هذه الأخيرة عند باكونين لا يمكنها أن تضمن حرية الأفراد بكل أنواعها، فالسبيل الوحيد للحصول على الحرية هو الثورة عليها على مؤسسات الدولة والثورة يجب أن تتقيد، بمجموعة من الشروط والبادئ، التي سوف تضمن للأفراد كل حرياتهم في كل المجالات، سواء الثقافية، الإقتصادية، والإجتماعية.

الفصل الثاني

حرية العمال ومبدأ الاستغلال

المبحث الأول : مصير حرية العمال في ظل وجود الدولة

المبحث الثاني : الهيمنة البورجوازية في تبديد مسار البروليتاريا

تمهيد

الحديث عن حرية العمال هو الحديث عن مبدأ النضال ،الذي تحدثت عنها الأنكارية الإشتراكية التي أسسها ميخائيل باكونين، وهي تقتضي على وجوب النضال ضد الوجود الإستغلالي لمؤسسات الدولة بما فيها البورجوازية التي تعمل على إستغلال العمال وإخضاعهم لسلطتها ،وهذا ما سوف نعالجه من خلال طرح الفكر الفلسفي لباكونين .

"السؤال الأول الذي يمكننا اليوم طرحه هو الحرية العمالية هل بإمكانها أن تكون كاملة؟"
 من خلال هذه المقولة التي أخذناها من كتاب باكونين تحت عنوان :
"instruction intégrale" يمكننا أن نجسد الفكر الفوضوي لباكونين وهذا في كونه
 يعتبر أن وجود الدولة لن يضمن، وجود حريات العمال ولذلك فإن نضال الطبقة العاملة ضد
 هذه الدولة وأجهزتها إحدى الشروط الأساسية من أجل الإنعتاق من العبودية التي يفرضها
 هذا الجهاز عليه فإن التنظير الطبقي الذي تجسده نظريات الدولة هي إحدى التطبيقات التي
 تمارسها الدولة داخل المجتمعات العمالية، وهذا من خلال إعطاء كل الإمتيازات للطبقة التي
 سوف تمثل المجتمع فيما بعد على غرار الطبقة العمالية التي سوف تتعرض للإضطهاد
 والإستغلال وهذا من أجل تحقيق مصالحها لا غير ذلك إن التضامن العمالي هو الذي سوف
 يحدد حرياتهم، وهذا بالثورة ضد الأنظمة المستغلة التي تجسدها الدولة وهذا ما يتجسد من
 خلال إنعقاد الإتحاد العام للعمال فقال :

"المشاركون في الجمعية العامة للعمال تطالب بالمساواة، لأنهم يرونها ويجب أن تحقق
 ،وأیضا نريد التكوين العادل لكل العمال"¹.

-إن المساواة الحقيقية في نظر باكونين لا تعني فقط المساواة على أساس التكوين العادل لفئة
 واحدة من العمال بل إنها تشمل أيضا جميع العمال الموجودين، فإن كل إنسان في المجتمع
 مؤهل للعمل وكذلك فله الحق في تقاضي الأجر، والمطالبة بحقوقه الكاملة وهذا بالطبع بعد

¹ - . Mikhail Bakounine, **L'instruction intégrale**, (son source), edition : l'égalité n°28, chapitre 1, 1869, p01

القضاء نهائيا على كل سلطة تحاول السيطرة.

-فإن الكنيسة عند باكونين هي من أهم المؤسسات التي تقوم من خلال في مد نفوذها من أجل السيطرة على المجمع العمالي وهذا من خلال تجسيد الدين كمجال للتعامل بين العمال ولكن هدفها الأسمى هو التفريق بين الطبقات العاملة بحكم التدين ،وعلى هذا الأساس كله فقد أكد باكونين على أهمية تحقيق الوحدة العمالية وأقصى نهائيا وجود المعاملات على أساس الدين بين العمال فإن الإختلافات الدينية ليست بمشكل أمام الوحدة العمالية .

فهذه الوسيلة لا تكفي الدولة فإنها تنطرق إلى العلم لتتخذ كوسيلة للإستغلال والعبودية للطبقة العاملة وهذا من خلال منح إمتيازات لفئة من العمال دون الآخرين مثل : زيادة الأجور ، وغيرها من الإمتيازات التي سوف تخلق فجوة كبيرة أمام وحدة الطبقة العاملة لتصبح الطبقة الثانية موضع إستغلال ونهب وهذا كله من أجل الوصول إلى غاية وهي القضاء وإضعاف النضال الذي يشكله "المجلس الأعلى للعمال" ،وعلى هذا الأساس يؤكد باكونين على أهمية القضاء النهائي للمفاهيم التي ترتبط بالمؤسسات الدولية بكل أنواعها والرفض النهائي للعروض التي تعرضها الدولة للعمال وعلى هذا الأساس قال :

"أينما كانت هناك الأهداف ،وحتي ماهو في العمل والعلم يجب أن لا يكون هناك مفاهيم العمال والعلماء ،لكن فقط الناس"¹

-يشكل المجلس العمالي عند باكونين أهمية كبرى في تحقيق الإنعتاق للطبقة العاملة ،من كل

¹ -Mikhail Bakounine, L'instruction intégrale, chapitre2,OP.CIT ,p05.

أطراف العبودية التي تمارسها الدولة ومؤسساتها، فغيابه سوف يؤدي بالضرورة إلى غياب الوعي الكامل لدي العمال، وهذا من خلال هذه التهديدات التي يجسدها المجمع الدولي من جهة والمجتمع نفسه من جهة أخرى، فالعنصرية والدين عند باكونين لا يمكنهما أن يضمننا حرية الطبقة العاملة بل إنها سوف تجسد الجهل والعبودية الذي سوف يقضي تمام على حرية العمال وعلى هذا الأساس يؤكد هذا الأخير على، وجوب إلغاء هذين العنصرين في مجال النضال العمالي وهذا من أجل ضمان الوحدة الأخوية للعمال، وإن هدف المجلس العمالي هو إلغاء هذه الممارسات كلها وهنا تجسد قوله :

"لا يسأل مجلس العمال أي عامل إذا كان متدينا، أو ملحدا لن يسأل إذا كان منتميا لذلك

الحزب السياسي أو ذلك، إنه يسأل ببساطة هل أنت عامل"¹

-إن مصطلح الطبقة عند باكونين بالنظر إلى الإمتيازات التي تخلقها لطبقة دون أخرى يجب

أن يلغي في المجتمع بصفة عامة والطبقة العاملة بطبقة خاصة ولن يتحقق ذلك إلا من

خلال إلغاء النظريات التي جسدها الديمقراطيون الألمان والإشتراكيون الألمان، فإن

المصطلح الأمثل الذي يعوض المصلح الطبقي هو "الجماهير" فهذا الأخير عند باكونين هو

الذي يجمع المجتمع والطبقة العاملة في هدف واحد وهو تحقيق الحرية والقضاء على كل

هيمنة كانت وهذا من خلال غرس مبادئ الثورة داخل المجمع العمالي بصفة خاصة من

خلال وجود جمعيات عمالية متضامنة وحررة، وهذا بدوره يتحول إلى فيديرياليات حرة

¹-لاين ماكاي، كتابات باكونين، ترجمة حسين دبوب (بدون طبعة)، الأرشيف الأنكاري العربي، 1980، ص09.

وبفضلها تتكون الهيئات الكبرى مكونة "جمعيات طوعية".

-فمن خلال هذا كله يظهر باكونين طموح الجمعيات الطوعية والتي تظهر من خلال التفاعل الكامل مع النظريات الفلسفية التي تؤكد على ضرورة وجود الحريات العمالية، والتي تتحول في آخر المطاف إلى أفكار ثورية تساند من خلالها نضال الطبقة العاملة، ضد كل ماهو رأس مال الذي من هدفه تحقيق غايات ومصالحة الدولة وهنا تجسد قوله :

"فإن يشارك مع رفاقه في العمل في ثورة تضامنية ضد الهيمنة الرأسمالية"¹

إن هذا التلاحم والتضامن العمالي في نظر باكونين سوف يضمن القوة الكاملة للطبقة العاملة في مواجهة كل محاولات السيطرة وهذا من خلال الوعي الذي تجسده النظريات المساندة لحرية العامل وهذا أيضا سوف يساهم في تحفيز كل عامل على إدراك حقيقة الأهداف الفلسفية والإجتماعية التي تقوم عليها المجتمعات الدولية .

فرفض هذه الإنظام إلى هذه الجمعية في نظر باكونين سوف يؤدي إلى المزيد من الشقاء، والإستغلال من طرف الدولة، وهذا بدوره ما يخلق الوحدة بين العمال الغير المنظمين للجمعية فتظهر المصلحة الفردية دون الجماعية ونظرا لهذه الظروف الإجتماعية والإقتصادية التي أل إليها العمال سوف تخلق بدورها أهداف أخرى وهو أن كل عامل يعمل بكل مجهوداته ليصبح بدوه رب للعمل، وذلك من خلال إنشاء مؤسسات خاصة تقوم

¹ -F.Vynceke, L'influence idéologique de bakounine en Italie le conflit avec marks et mazini, (son édition), yougoslavè, 1957, p20.

-جمعيات طوعية
تنتشر في النظم الديمقراطية، وتشجع الحكومات على عملها والقيام بنشاطها، فهي تقوم بمجالات مكملة لمجهودات الحكومة على مستوى المحافظة وعلى مستوى المدينة والقرية. الجمعيات التطوعية تنظمها مجموعات أهلية مستقلة عن الحكومة، بغرض مساعدة الآخرين.

باستغلال العمال الآخرين .

-فالدولة عند باكونين عبارة عن جهاز قمعي لكل الحريات العمالية فإنها تجسد مختلف الوسائل من أجل إضعاف هذه الرابطة فتحولها إلى انقسامات وهذا ما يؤدي بالعمال على عدم الاعتراف بالأخر وهذا من خلال المصالح التي يتبناها كل عامل ولذلك فاختلاف أهداف كل عامل عند باكونين كاف للقضاء النهائي على الحرية العمالية كلها ولذلك قال :

"يمكننا أن نرى أنه العامل يفكر في نفسه ولنفسه فقط، في الأوضاع الإقتصادية، والجوانب

الإجتماعية الحالية، في تحقيق وضع أفضل أن يصبح مثلاً مدرب، مستشار للدولة"¹

-إن المهمة الأساسية التي يجب على العمال ان يمثلوا لها العمال حسب باكونين هو

التعاون، والإيحاء مع إخوانهم العمال والتضامن وهذا من أجل تحقيق مصالح واحدة

ألا وهي تحقيق الحرية، فعند باكونين فالعمال يفضلون أن يتقاسموا العذاب، بدلاً من

الإنفراد بمصالحهم الخاصة ضد كل هيمنة تجسدها مؤسسات الدولة، وهنا تجسد قوله :

"يجب أن يعذبوا لمدة زمنية وهم متضامنين مع إخوانهم العمال ضد الهيمنة الدولية

بدلاً أن يصبحوا مهيمنين هم بدورهم"²

-إن التضامن لدى العمال عند باكونين، في ظل هذا المجلس سوف يصل العمال على التوحد

في طبقة واحدة وهذا ما يساهم في القضاء نهائياً على كل الأفكار الدينية والأخلاقية التي

¹ -mikhail bakounine, politique de L'internationale, collection philosophie, edition 1 ,1870,p05.

² -ibidem.

تكونها النظريات السياسية التي تكون نظم قانونية تعسفية ضد الطبقة العمالية بصفة خاصة فإن هذه الإختلافات التنظيمية التي تكونها هياكل الدولة فهي عبارة عن إجراءات غير آمنة، وعلى هذا الاساس يؤكد باكونين على أهمية النضال العمالي من أجل تجاوز هذه الحواجز التي تمنعهم من الوصول إلى حرياتهم، وهنا يتجسد قوله :

"ليس هناك ديانات عديدة من الطبقة هناك واحدة فقط وهو التقوى والنضال، ورؤية التحرر واختراق الضباب من كل تصوف"¹

-فمن خلال هذا القول يوجهنا باكونين إلى النضال الذي جسده الجمعية العمالية في سويسرا سنة 1869 تجسد لنا بطبيعة الحال التأثير الإيجابي على الطبقة العاملة، في ذلك الوقت فقد إنتقلت الثورة ضد الطبقية التي جسدها الدولة وهي التي أحدثت تغييرا في الوسط الإجتماعي بصفة عامة، والعمالية بصفة خاصة وبذلك قد ظهرت الأهمية الكبرى لوجود مثل هذه الجمعية التي تدافع، وتنظم الطبقة البروليتارية ضد أي هيمنة دولية، وعلى هذا الأساس قال :

"لقد تظاهروا منذ وقت قليل عمل جد مهم قامت به الطبقة العاملة وهذا ما يجسد الأهمية الكبرى لوجود جمعية للعمال تحقق مستقبلهم في العالمية"²

فإن الطبقة العاملة عند باكونين لا يكفيها فقط بأن تكون منظمة على أسس جماعية، بل يجب أن تكون ذات وحدة شاملة مؤسسة على المعرفة العلمية، فالعامل إذا كان جاهلا بالأسس

¹ -mikhail bakounine, **solidarity in liberty the workers path to freedom**, (son idition), uknow, london, 1867, p02

² -mikhail bakounine, **trois conférence faites aux ouvriers du val de saint-imier**, canevas edition, suisse , 1871, p15.

التي تبني عليها الجمعية النضالية للعمال فمن السهل بالنسبة لأصحاب النفوذ أن يقسموا الوحدة العمالية، لتأسيس الطبقات داخل المجتمع عامة، والعمال بصفة خاصة، وهذا بتقديم عروض لطبقة من العمال من أجل جذبهم لخدمة مصالح الدولة، ومؤسستها فقط، وهنا تجسد قوله :

"إذا كانوا قد رفعوا علم لنظام سياسي أو دين بعيدا عن الوحدة العمالية في أوروبا، سوف يكونون أكثر شتاتا لأن الجهل الذي، يصيب العمال سوف يساعد الطبقة الأكثر غناء والكهنة الموالين للحكومة لنشر أفكار كاذبة وسط الجماهير العمالية، وهذا ما يؤدي إلى خدمة هذه المؤسسات طوعا على حساب مصالحهم الخاصة"¹.

-فهنا باكونين يعمد إلى طرح فكرة الدولة على أساس أنها فكرة إيديولوجية مزودة بالمجالات التاريخية الإقتصادية السياسية التي تبين مدي أهمية، وجودها وهذا بهدف إرضاء الطبقة الغنية وتجسيد هيمنتها على الشعوب كلها، وتحويلهم إلى عبيد لخدمتها ولذلك فإن النضال الحقيقي الذي يجب أن تظهره الطبقة البروليتارية هو أن تتمسك بمبادئ الجمعية النضالية والتعاون بين العمال للقضاء على مؤسسات الدولة، وقوانينها مثل الضرائب التي تقوم الدولة بفرضها على الفلاحين والعمال بصفة عامة.

-فالدولة بذلك تحاول عبر مؤسساتها إلى خلق وحدة إقليمية تظهر فيها هيمنتها على الطبقات العمالية وتقضي بذلك على حريات هذه الأخيرة فيتحولون إلى عبيد لخدمتها، وبالمقابل فإن الإتحاد العام للعمال عند باكونين سوف يكون كحل نهائي للطبقة العاملة، وهذا من خلال

¹ -mikhail bakounine, politique de linternationale, OP.CIT,p05

إلغاء الفلسفات السياسية، والملاحيق الدولية وأيضاً إلغاء جميع النظم الدينية التي تطالب
بالمال، ووسج الأراضي فقال :

"إنها تميل إلى أن تجعل جميع الملاحق غير ضرورية، تضطر أيضاً إلى رفع آمال العمال
، وذلك بإلغاء جميع النظم الدينية"¹.

هذه المسألة سوف تجسد بلا منازع المسألة الاقتصادية التي لا يمكن تحقيقها إلا
من خلال تحرير البروليتاريا من قيود الرأسمالية والبورجوازية؛ وعليه فإن هذا التجمع
سوف يضمن تنظيمًا اجتماعيًا من جهة ومن جهة يضمن تحرير كل العمال؛ فالتضامن من
أجل التحرر هو الوسيلة الأساسية اجتماعيًا من جهة، وعماليًا من جهة أخرى، وبذلك
سوف ينمي قدرات مجلس العمال على الدفاع عن مطالب هؤلاء الأفراد المستغلين ولذلك
لا بد من إلغاء الملكية الخاصة والعامة من الشروط الأساسية لتحرير الفرد العامل من
ذريعة الاستغلال الدولي بصفة عامة والأنظمة الاقتصادية بصفة خاصة؛ ولذلك فالسبيل
الوحيد لتشكيل الحرية والمساواة في الطبقة العاملة هو إعادة الملكية إلى جمعيات المنتجين.

¹ -mikhail bakounine, IDIB, p08

-يوكد باكونين أن المجمع الرأسمالي،بتحوله إلى القوة المهيمنة على العمل،فهذا سوف يعطي الأفضلية للطبقة الأكثر ثراء والتي يمكن أن نسميها بالطبقة البورجوازية هذه الأخيرة سوف تعمل بكل الوسائل من الهيمنة على الطبقة العاملة وهذا من خلال تقليل عدد العمال في مؤسساتها،أو بالأحرى تحويل العمال إلى عبيد مقابل أجر ضعيف لا يساوي جهده،ولذلك فالجهل والعبودية من الشروط الأساسية التي تعتمد عليها البورجوازية من أجل إستغلال هذه الطبقة .

-فكل الحركات البورجوازية عند باكونين لا يمكن أن تضمن حرية العمال بكونها تقيم حيز مغلق يحيط بالطبقة العاملة وهذا من خلال إبعاد العمال عن مجمل الخبرات التي تنتشر في العمل وعلى هذا الأساس فإن عدم وجود خبرات لدى العمال سوف يحولهم بالضرورة إلى عبيد لا غير ذلك وعلى هذا الأساس تجسد قوله :

"كل هيمنة كاملة فإنها تحمل قوة علمية لذلك العصر بالطبع فوق الجماهير العمالية فيجدون أنفسهم تحت سيطرة هذه الطبقة التي سوف تهيمن عليهم وتشغلهم"¹.

-فالبورجوازية الإشتراكية حسب باكونين يؤيدون وجود الطبقة داخل المجتمع العمالي خاصة من أجل أن يجسدوا ذلك التقسيم الإجتماعي الغير العادل،وهذا يظهر أساسا في التقسيم الجموعي للعمال فإن المجموعة الأولى سوف تطالب فقط بالعلم والثانية تكون أكثر جهالة فتطالب فقط بالعمل البسيط وهذا ما يولد في الأخير الصراع داخل الطبقة البروليتارية.

¹ - mikhail bakounine,trois conférence faites aux ouvriers du val de saint-imier,OP.CIT ,p25

إن العمل نفسه عند باكونين يحدد الإختلاف الموجود بين العمل الطبقي والعمل الذي يظهر في الطبقة البروليتارية فإن الأول يظهر من خلال القوي العظمي التي تحتوي على المكانة الإقتصادية وهذا مكنها بأن تكسب قوة عظما أكثر من الثانية، وهذا ما يؤدي بلا منازع إلى القضاء على القواعد العلمية والأخلاقية للطبقة البروليتارية وهذا النوع من الإنقسام، سوف يخضع طبقة العمال القرويين خاصة إلى نوع من الإجهاد، والقوة دون غيرها التي يتجسد عملها فقط في التفكير في مشاريع لتحقيق مصالحها الخاصة، على حساب الطبقة الثانية، ومن خلال هذا الإجهاد الذي تمارسه الطبقة البورجوازية على الطبقة الثانية، فسوف يؤدي إلى أضرار في الجانب الفزيائي والعقلي للعمال .

-فإن هذا الإنقسام الذي تنادي إليه البورجوازية، ترفضه كليا "المنظمات العالمية للعمال"، وهذا من خلال نظالها من أجل وجود حقوق العمال، مهما اختلفت طريقة عملهم وأساليبهم، ومكانتهم إلا أنهم يجتمعون متضامنين ضد هذه الهيمنة البورجوازية، وعليه قال :

"كل العاملين سواء عملاء المصانع، والأرض فإنهم يشكلون نفس الفئة".¹

-يؤكد باكونين في موضع آخر أن البروستانتية التي جعلها البعض كمسار تاريخي للطبقة البروليتارية فإنهم بذلك في موضع خطأ بل إنها بالأحرى قد جسدت معالم البورجوازية المستغلة للحريات العمالية، وذلك بعدما أن تمكنت من تحرير كل الموارد الإقتصادية لصالحها وهذا من جهة سوف يساهم في إضعاف الطبقة العمالية وتتنصر في معالم

¹ -mikhail bakounine, fédéralisme, socialisme et antithéologisme, aux compagnons de dieux et l'état, lettres sur la patriotisme, édition 5, tom 1, bibliothèque sociologique, n°4, paris, 1895, p56.

العبودية والإستغلال ولذلك فيعتبر باكونين مجمل الشعارات التي حملتها البروتستانتية ماهي إلا مجموعة من الدوافع لدعم الوجود البورجوازي ، وهذا من أجل المحافظة على سلطتها ومركزيتها في سبيل تحقيق مصالحها.

-يؤكد باكونين هذه الفكرة أكثر في مشاركته في الإجتماع الإشتراكي في ألمانيا ،فتطرق إلى عدة نقاط ومن أهمها إعادة النظر لما يحدث من قمع، واضطهاد للطبقة العاملة سواء نفسيا أو جسميا وهذا في سبيل القضاء على الهيمنة البورجوازية التي تنتج بعدا فكريا وماديا بين المتميزين في طبقتها ،والضعفاء في الطبقة البروليتاريا ولذلك فإن الإنتصار الحقيقي الذي يجب على الطبقة البروليتارية تحقيقه هو القضاء نهائيا على هيمنة الطبقة البورجوازية فإن الإمتيازات التي تمتلكها الطبقة العمالية سوف تساهم، وبشكل أسرع في التقارب بين المسافات الجغرافية و الزمانية وهذا الإكتمال في نظر باكونين سوف يحقق الأفضل للمجتمع البروليتاري وعلى هذا الأساس قال :

"البروليتاريا تنموا بسرعة ،ولها كل الإمتيازات من خلال نظرها المتميز ،وإن المسافة سوف تصبح أكثر قصرا"¹.

الطبقة البورجوازية عند باكونين،تمثل المد الرأسمالي في العالم ،وهذا من خلال وجود شركاتها في مختلف أنحاء العالم ،ولذلك فإن الحديث عن الحرية العمال لا يمكن أن يتحقق في هذه الظروف التي ينتشر فيها معالم الإستغلال ،والعبودية تتبناها الطبقة البورجوازية

¹ -mikhail bakounine, instruction intégrale, op.cit ,p01.

وهذا ما يظهر من خلال تجهيل العمال، وتوظيفهم في مجالات تحقق أكثر مصلحة هذه الطبقة ولذلك يؤكد باكونين أن النضال العمالي هو الحل الأمثل، من أجل القضاء النهائي على هذه الإختلافات، والتشققات التي تتبناها هذه الطبقة داخل المجتمع عامة، والطبقة البروليتارية بصفة خاصة، فالتعاون العمالي والوحدة في مصالحهم، هي من الأهداف الرئيسية التي سوف تحقق مصالحهم، ففي نظر باكونين إن خلق طبقة غنية في المجتمع سوف يجسد الإحتقار، والكراهية للطبقات الأخرى، وهذا ما يشكل فوضى كبير، واستغلال للعمال مثلما حدث في فرنسا، وإنجلترا، وروسيا في ضل حكم "نيكولا" وهذه المعاملات كلها عند باكونين محاولة لطمس هوية العمال، فإن هذه الأخيرة سوف تواصل في مفسدها، وعبوديتها مادام العمال غير مدركين لحقوقهم وضرورة الثورة عليهم ولذلك قال :

"مثل البورجوازية الطفل المدلل للرأسمالية ومصحتها الكبرى فهي توجهها للفساد، والإستغلال وإنها تمثل كسلاح خطير للقضاء النهائي على الطبقة العمالية، مثلما حدث في مظاهرات 1793"¹

فإن الأساليب الوحشية التي تتبناها البورجوازية قد أثرت بشكل سلبي على الحياة العمالية، فقد كانت هذه هي محاولة لعزل العامل عن إدراك حقوقهم الخاصة وهذا يتلخص عندما يولد العامل على الجوع والفقر فإن هذه الظروف كلها سوف تضطره إلى العمل من أجل إرضاء الطبقة الغنية في المجتمع وهنا سوف يقع في معالم الإستعباد، والإستغلال ويحرم من كل حقوقه التي تتمثل في حرياته الخاصة ومن هنا قال :

¹ -mekhail bakounine l'etre a ruech''l'etat et la liberté'',1871,p02.

"الشر الذي يعاني منه العامل هو أنه يعمل من أجل الآخرين ،على غرار عمله الحر ،فهذه الطبقة المستغلة تقتل ،وتستغل العمال فإنه قد يضطر للعمل من أجل الآخرين لأنه ولد في فقر ،وحرمان من جميع حريات الإبداع والخبرة"¹

فالتأثير الحقيقي للبورجوازية يظهر أيضا ،في تحويلها للمجتمعات الفقيرة إلى مجتمعات عاملة بأقل الأسعار وهذا من أجل مصالحها الخاصة فقط .

فمن جهة أخرى فالبورجوازية عند باكونين هي نتيجة لظروف إقتصادية ،وإجتماعية التي ألى إليها المجتمع الأوروبي وهذا بعدما أن تحولت كل الأملاك لصالح طبقة غنية فهذه الأخيرة قد أحيطت بمجموعة من النظريات الفلسفية ،السياسية التي أكدت على ضرورة وجود الطبقة داخل المجتمع فلو تمعنا النظر لوجدنا أن مجمل الفلاسفة اللذين نظروا لضرورة وجود الطبقة فإنهم ينتمون بطبيعة الأمر إلى عائلات الملاك ،وهذا ما يؤكد باكونين فكل فيلسوف نظر لطبقته من أجل حمايتها ومن هنا فإن البورجوازية عبارة عن نظرية ،إقتصادية وسياسية،موالية للدولة هذه الأخيرة عند باكونين تمثل جهاز قمع لكل الحريات بكل أنواعها خاصة العمالية منها،ولذلك قال :

"الدولة هي الموجه الأخير للعمل البشري،ونتيجة وجودها لا يمكنها أن تمثل الشيء الجيد للحرية الجماعية للعمال إنها سوف تعطى للطبقة الغنية فقط"²

¹-jaques rancière,la critique anarchiste de la démocratie :bakounine et le moment michiavilien,(son idition),bibliothèque DE Université nancy2,2011,p97.

² jaques rancière,la critique anarchiste de la démocratie :bakounine et le moment michiavilien,OP.CIT,p98.

هنا نفهم أن الحرية التي ينادي بها العمال، في ضل الوجود البورجوازي التي تتبني القوانين والأوامر، الغير العادلة التي تمثل مصالح الأقلية فقط لا يمكنها أن تتحقق لهم أي حرية كانت فالحرية عند باكونين لا يمكنها أن تظهر مادامت الطبقة موجودة داخل المجتمع، لأن الحرية تتوافق مع الأسس والمبادئ التي تتمثل في العدالة والمساواة بين جميع العمال، فإن زوال الطبقة شرط أساسي يضمن وجود الحرية في وسط الطبقة العاملة، ولذلك فالثروة يجب أن تتقاسم بين العمال على أسس مساوية أن الإدعاء بالملكية الفردية، عند الرأسماليين لن يضمن إلا الصراع، و الإستغلال حيث يتعرض العمال إلى التهميش، والعبودية من طرف الطبقة الغنية فالحرية العمالية التي نادي إليها باكونين عبارة عن نضال، ضد الرأسماليين .

-يؤكد باكونين أن مجمل التحالفات التي جسدها العمال قد فتحت في الأخير نقاش عام مع البيروقراطية والنقابية وهذا من أجل تحسين الرتب المحلية للعمال، وهذا لتجسيد سعادة كل الأعضاء المشاركين في النقابة نفسها ضد المنظمات الديكتاتورية الأخرى التي تقوم على اللامبالاة والاستغلال للطبقة العاملة ولذلك قال :

”برنامج التحالف يفتح النقاش مع البيروقراطية النقابية التي تميل إلى أن تصبح منظمة لتحقيق سعادة أعضائها.“¹

-لذلك قام باكونين بإنشاء ”أقسام فابريكا“ والتي تتألف من مواطنين أصليين والعاملين بأجر أفضل، وكل العمال اليدويين و غيرهم، وهذا من أجل أهداف متعددة وأولها تحسين الأجور المنخفضة التي يتلقاها العمال و رفع الإهانات التي يعانون منها. اللجنة العمالية

¹ -mikhail bakounine, on the programme of alliance, geneve, (son edition), 1871, p01.

في نظر باكونين يجب أن توظف في بنودها الدفاعية : حرية الرأي للأعضاء المشاركين فيها، وعليه فإن هذه الآراء يجب أن تأخذ بعين الاعتبار حتى ولو حددت في مجالات أخرى؛ وهذا بالمقابل ما لم يتجسد في المنظمات التي كانت سائدة من قبل، فقد جعلت من العمال قطيعا من العبيد يحرمون من كل أشكال الحرية.

ولذلك فإن مسألة التحرر العمالي من البورجوازية عند باكونين هي من المسائل الأولى التي يجب أن يهتم بها عالميا، ولذلك قال: "التجربة قد أثبتت أن الجمعيات العمالية ليست معزولة، فإن مسألة تحرير العامل من نير الرأس مال وممثليه الرأسماليين و البورجوازيين هو قبل كل شيء قضية عالمية" ¹

هذه الحركة النقابية العمالية حسب باكونين هو الطريق الأمثل للتعبير عن مشاكل العمال التي يواجهونها سواء في الأجر أو ساعات العمل، كونها تتحدث باسم كل العمال، وتحتضن كل القرارات المشتركة بينهم .

الكثير يظن بأن البورجوازية ورجال الدين المتمسكين بالإقطاعية المستغلة هي التي قامت بتحرير العمال من نير الملكية، فهذا الاعتقاد لا يمكن أن نسلم به بل إن البروليتاريا هي التي ساهمت في ازدهار الطبقة العاملة ولذلك قال : الاعتقاد أن البورجوازية ورجال الدين الإقطاعيين قاموا بتحرير جميع الناس جانب لجنب اعتقاد ساذج" ²

¹ -mikhail bakounine, l'association rouge, russe, son edition, 1870, p02.

² -IBIDEM.

لذلك فإن مجلس العمال قد وضع بعض المطالب من أجل إعادة كل الحريات المسلوقة للعمال وهي كالآتي :

1- يجب أن يكون العامل متساويا في المنصب مع أخيه العامل، أي أن لا يبغى منصب

علوي، لأن هذا من إحدى خصائص البورجوازية المستغلة للبروليتاريا؛ فإن كان

الرأسماليون يبحثون عن الرفاهية بعيدا عن رفاهية المجتمع، فإن العمال يبحثون عن تلك الرفاهية للتضامن بين هؤلاء العمال المسروقين.

2- أن يكون هذا العامل مخلصا ومدافعا لحقوق هذه الطبقة المظلومة فإن كان خائنا فإنها

جريمة عظيمة يرتكبها هذا العامل في حق نفسه.

من خلال هذا الاحترام والتفؤل والتضامن العمالي في نظر باكونين، سوف تصبح الطبقة

البروليتارية ذات أهمية كبرى على الصعيد العالمي رغم المشاكل والعوائق التي تعترضها

هذا ما تجسد في قوله : "ورغم الجوع الموقع، فإنهم أكثر اشتراكية وواقعية من كل

الاشتراكات البورجوازية والعامية إن الجماهير العالمية اشتراكية رغم كل ما تواجهه من

ظروف"¹.

يؤكد باكونين أيضا أن الجهل، والعبودية شرطين أساسيين بالنسبة للبرجوازية

والرأسمالية من أجل استغلال الطبقة البروليتارية؛ فالعمال هنا مطالبون بالبحث عن سبل

لتحرير إنسانيتهم ، وذلك من خلال انضمامهم للمجلس العمالي ولذلك قال :

¹ mikhaïl bakounine, solidarity in liberty :the workes path to freedom, op.cit,p01.

“إن العمال محكومين بالعيش في الجهل الملزم والقبول بالعبودية عبر المنظمات الاقتصادية لمجتمع قوامه عبودية الأجر لذلك يطالب مجلس العمال بالبحث عن ما في صالحهم ماديا ومعنويا”¹.

-فمن خلال الإسهامات التي يقدمها مجلس العمال على الصعيد العالمي، سوف يكون العمال بالضرورة قادرين على كشف مهاراتهم وتطوير حياتهم الاجتماعية ولذلك أكد باكونين كل ذلك من خلال قوله : “سيكونون قادرين على الكشف عن حقيقتهم، وتطوير أنفسهم بأن يعملوا ويستمتعوا بالأشياء الجديدة في الحياة” .

-وأمام هذه الإنجازات من طرف هذه الطبقة العاملة قد أرسى بالمقابل الرأسمالية والبورجوازية ردود أفعالها، اتجاه هذا النضال العمالي وقد تجسدت هذه الردود خاصة في تهمة هذه الأنظمة بالسرية التامة، ومن هذا المنطلق قد رد باكونين عليهم قائلا :

“إن هذه الحركة الأممية إتحاد المجالس لا تفرض من أعلى ولا هي تخطيط سري إنها تقوم بالاتحاد وإنها تنطق بلسان كل مجموعة من العمال، وتعتنق القرار المشترك وهو ديمقراطية حية في كل مرة يضع فيها الإتحاد خططا علانية ويتحدث للجميع”².

فقضية حرية العمال بذلك هي قضية أممية أي يجب أن يشترك فيها كل العمال في العالم كله ولا تخص فقط عامل واحد.

¹ Mekhail bakunine, appel aux slaves, russe ,bakounine on anarchy,1848,p03.

² Mekhail bakounine, les travailleurs et le sphinx ,russe :endpage,1867,p02.

-لذلك فهو يطالب كل عامل مدرك لهذه الأشياء والواعي بكل هذه الدعائم الاستغلالية بأن يقوم بخدمة هذا المجلس الذي بدوره سوف يخدم، ويدافع عن حقوق كل عامل، وهذا يؤكد في قوله : " إذا كنت عارفا ومدركا لكل هذا ، تقدم إلى معسكرنا أيا كانت وجهة نظرك السياسية أو الدينية ؛ وإذا كنت معنا وطالما إنك معنا فإنك سنتمنى التضحية بحياتك وبعملك وبكلماتك في سبيل هذه القضية المشتركة"¹.

لتحقيق ذلك عند **باكونين** يستلزم بالضرورة احترام مجموعة من الشروط ومنها :

1- أن يجعل العامل كل اهتماماته على المجتمع والنضال ضد البورجوازية أولا ويجعل من اهتماماته الشخصية والعائلية في الدرجة الثانية.

2- أن لا يخلط بين الاهتمامات الشخصية من جهة و اهتمامات النضال ضد البورجوازية من جهة أخرى.

فمن خلال هذه الشروط سوف يصبح العمال أكثر حرية ، وذلك من خلال إدراكه لكل القيود التي تضعها البورجوازية من أجل الهيمنة عليهم، وهنا تظهر أهمية المجلس العمالي وذلك من خلال توزيع الخبرة لكل العمال على أسس متساوية، وعليه فإن العمال يجب أن يتقيدوا بهذه الشروط في سبيل الحصول على حرياتهم وذلك من خلال تحقيق الوحدة العمالية .

يطالب مجلس العمال أساسا بأن يستفيد الفرد العامل من الإنتاج الذي يجنيه العمال جماعة؛ وهذا بشرط واحد بأن يكون ذلك الفرد عاملا ، وإن كان ليس عاملا فإنه لا يحق له

¹ -Mikhail Bakounine, **L'instruction intégrale**, op. cit, p03.

بأي حق في الربح من هذا العمل الجماعي، وأن إلغاء الميزات العنصرية التي تضعها البورجوازية هي إحدى الشروط التي سوف تمكن الطبقة العاملة من الإتحاد، وذلك من خلال رفضهم لجميع الإغراءات التي تضعها لهم البورجوازية كإحدى الوسائل من أجل إخضاع العمال لسلطتها .

الخلاصة

الخلاصة

حرية العمال عند باكونين لن تكون موجودة أمام وجود الدولة، ومؤسساتها وعلى هذا الأساس فإن عند باكونين فالحرية العمالية سوف تتحقق بالتعاون، والتضامن في ظل المجلس العام للعمال الذي سوف يضمن كل الحريات التي يناضل من أجلها العمال، وذلك من خلال تحقيق الوحدة العمالية، والقضاء على أي هيمنة كانت سواء الدينية منها أو السياسية.

الفصل الثالث

الدولة والدين ومصير حرية الشعوب مابين (باكونين وبرودون)

المبحث الأول : الدين ضد حرية الشعوب

المبحث الثاني : سلطة الدولة وتكريس مبدئ العبودية

تمهيد

الدين والدولة مفهومان أساسيان في الفلسفة، وعليه فإن الفوضوية التي قادها باكونين وبرودن رفضت، وجود المفهومان باعتبارهما حاجزان للحرية الفردية، وهذا ما نحاول أن نعالجه في هذا الفصل من خلال طرح الفكر الفلسفي، لكلا الفيلسوفان بخصوص مفهومي الدين والدولة.

المبحث الأول

الدين ضد حرية الشعوب

الفكر الفوضوي لبكونين بخصوص مسألة الدين تتجسد من خلال رفضه التام لفكرة الإلاه فقد إعتبر هذه الأخيرة مصدر الجهل والعبودية وهذا لكونها تفقد الفرد كل حرياته الفكرية وغيرها ،وبذلك فهي الحاجز الذي يمنع الأفراد من الوصول إلى حرياتهم ،وعليه فإن هذه الفكرة تتجسد من خلال فكرة اللاهوت غير أن باكونين لم يقبل وجود هذا المصطلح ليجسد مصطلح مغايرا "ضد اللاهوت" فإن هذا الأخير لا يعتبره فقط الإنكار الكلي لفكرة الإله بل إنه الرفض الكلي لكل ماله علاقة بمصطلح اللاهوت فيعتبره كموقف فلسفي ضد أي سلطة دينية كانت فإن الالهوتية هي التي غرست فكرة "الوجود الإلهي" ، وهذا بمبدء الإيمان من أجل القضاء الكلي على أي حرية فردية فقد كانت الكنيسة تعدم كل من خرج عن القوانين التي تمليها الكتب المقدسة وعلى هذا المنوال فقد كان مصطلح "الضد اللاهوتية" ينفي الوجود اللاهوتي .¹

-فكرة الإله عند هذا الأخير عبارة عن إعلاء من قدرة الاخوتية فالتدخل الإلهي في شؤون الإنسانية، أمر لا يمكن القبول به ،وهذا بعتبار أن البشر كلهم أحرار ولا يحتاجون لهذه الفكرة الإلهية التي تعتبر كحاجز ضد حرياتهم.

¹ -jean-christophe ancaut, "l'èberté et histoire chez mikhail bakounine :thèse de doctorat,école doctorat langage,temp,société,université nancy2,2005,p242.

ضد الالهوت :

هو مصطلح يشير إلى ضد الإيمان أي الإنكار الكلي للوجود الإلهي ,وقد ظهر في القرن 17 اين ظهرت العلوم المادية والنظريات المادية مثل مادية مركس وقد إستخدمتها الأنكارية لتبرير فكرها الفوضوي ضد الالهوت المسيحي.

- فإن التضامن والتعاون هي من المبادئ الأساسية التي سوف تحافظ على حرية البشر وبذلك فمن الواجب إلغاء المعاملات الدينية وتعويضها بالمعاملات الإنسانية فقد أكد هذا الأخير أن البشر كلهم لديهم ميزات أساسية، حملوها وبفعل التلاحم الذي يحصل مع الطبيعة، تتطور هذه الميزات وتحقق بذلك التعايش السلمي مع الآخرين، ولذلك فإنها لا تحتاج إلى أي سلطة كانت خاصة الإيمانية منها لتوجيهه إلى ما هو أمثل فإدراكنا للأشياء كلها هي المبدء الأول والأخير لكل الحقائق في العالم فضمير الإنسان كاف لتحقيق العدالة وإن الحرية الشخصية والاجتماعية هي أيضا تكفي بأن تكون كمجال لإنجاز الأعمال دون أية أوامر وعلى هذا الأساس قال :

"الحرية هي حق لكل رجل، وإمارة فهم يصادقون على أعمالهم من خلال ضمائرهم

الخاصة بهم وتحديدا من إرادتهم فإنهم لا يحتاجون لأي مسؤول"¹

-فباكونين يعتبر الكنائس عبارة عن هياكل مؤسساتية تتفاعل مع الدولة، وأجهزتها وهدفها الأساسي هو إلغاء جميع الحريات الفردية والجماعية، والقضاء نهائيا على الضمير الإنساني فتحول البشر إلى عبيد، وذلك بالتأثير عليهم بوجود سلطة تراقبهم وهو الإلاه وبذلك فإن هذا المفهوم هو الذي يعطي الأولوية للكهنة، من أجل الحفاظ على سلطة الدولة لا غير ذلك

¹-mekhail bakounine, catéchisme révolutionnaire, (son édition), archives-ouvertes.paris, 1865,p01.

وتحقيق مصالحها الخاصة بالهيمنة على الأفراد ولذلك فإن الكنائس تعتبر كصفة مربحة للدولة، التي تساعد في غايتها القصوي.

-من جهة أخرى يؤكد باكونين على أن الإستعباد الحقيقي يظهر في الخصوص مجمل القوانين التي تؤسسها الكنيسة، فهي السبب الأول في ظهور الفقر، والعبودية وهذا من خلال المعاملات الوحشية التي تقوم عليها الكنيسة ولذلك فإن باكونين ينكر تماما ما ذهب إليه البورجوازيون و المتأفزيقين المثاليين، الذين أرجعوا أصل الوجود إلى "المادة الحقيرة" أي أن الإنسان خلق غير كامل ويحتاج بذلك إلى سلطة توجهه نحو سعادته فإن هذا الزعم في نظر باكونين لا يتعدى هدف معين لحساب الكنيسة ألا وهو الهيمنة الكلية على الأفراد وذلك بإنقاص قيمة الفرد واستحسان صورة الإله، والكنيسة وهذا بهدف المحافظة على مصالحهم الشخصية ولذلك قال :

"المثاليين مثلما نعرف تسمى كثيرا عندما تقول بأن الإنسان بذكائه الفائق، وأفكاره الفائقة إنه مثل الكائنات الموجودة في العالم إنه أحق مادة"¹

-فإنه في الحقيقة لا يوجد أي رابطة بين الوجود الإنساني الذي يقوم أساسا على الحرية والقوة والذكاء مع ماذهب إليه الميتافيزقيون الدينيين، التي يشوهون حقيقة الوجود الإنساني ففي نظر باكونين فإن الفرد لن يشعر بحريته في حين وجود هذه الميزة العنصرية التي

¹ -mikhail bakounine, dieux et l'état, edition :carlo cafero, paris, il et aparus pour la premiere fois en 1882, p13.

تقضى تمام على حريات الأفراد بمبدء عبادة الإلاه فمن هنا فإن الهيمنة تظهر أساس من خلال إضفاء المشروعية الدينية على الجانب الإجتماعي للأفراد وهذا من خلال تجهيل الشعوب وتعويض الكتاب المقدس كروح قانونية وإجتماعية يعود إليها الفرد في كل ما يفعله وذلك وهنا قال :

"لقد نزعوا المادة الذكية التي يجب أن تتميز به،والحياة بذالك كلها قد إنقضت فيها"¹
-إن مجمل النصوص التي عمل عليها باكونين لا تجسد فقط رفضه لفكرة الإلاه بل إنها عبارة عن نظاله ضد أي سلطة كانت تسد الطريق أمام الحريات الفردية أي كل أجهزة الدولة بما فيها الدين وهذا ما كتبه من خلال رسالته ل"هرزن" سنة 1860 يشرح فيها ما عناه في فترة سجنه فقال :

"الإنزواءات للحياة خطأ فادح لتدرك أنك تقوم على حياة بدون هدف ،دون أمل،دون غاية،تقول كل يوم أنا أغبي إنسان وتقول كل يوم ذلك فلا يمكنك النوم يوميا أو ليلا مهما عملت ومهما قرأت ولو أنك غرقت في النوم سوف تحس بالعذاب الذي يمس كل شخص معك ،أنا عبيد أنا ميت ،فلو كان الدين هو الحافظ كما يزعمون سوف تعمل على الأقل بتخفيف هذه المعانات ،ولكن لدي هدف واحد وهو أن لا أصلي هتي ولو أنني ميت،لأن لدي إحساس مقدس للنضال"²

¹ -mikhail bakounine,dieux et l'état,OP.CIT,p14.

²-mikaïl bakounine,l'ettre du 08 décembre1860 a herzen,expoté de wiki source irkoutsk,p08.

وهنا نفهم المأساة الكبرى التي مر بها باكونين مؤكداً أن سلطة الدين لا تساعد إلا من لهم السلطة والقوة، فهي بذلك لا تتماشى مع الحريات الفردية و الإجتماعية، بل إنها الحاجز أمام النضال الفردي من أجل الحرية.

فمن خلال كتاب "هنري أفرون" يمكننا الإحاطة بالفكر المادي الذي تطرق إليه باكونين في سبيل لإسقاط فكرة الإله وهذا في سبيل تحرير الإنسانية، وهذا يتجسد في القضاء نهائياً على المؤسسات الدينية .

-لذلك فإن إشكالية الشيطان عند باكونين تظهر من خلال تلك الأعمال الإجرامية التي يقوم عليها هؤلاء الكهنة الذين يسميهم المخلصين للإلاه، ففي نظره فقد خلقوا هذا المفهوم من أجل تشكيل نوعية من الصراع بين الأفراد داخل المجتمعات البشرية وهذا يظهر من خلال تحفيز الأفراد المنتمين لدين معين على محاربة البشر الآخرين الغير المنتمين لعقيدتهم .

-إن الأوضاع الإجتماعية والسياسية التي ظهرت في وقت باكونين هي التي جسدت نظريات منافية لنظرية الدينية التي سيطرت على كل المجالات فإن هذه المادية التي جسدها باكونين وفلاسفة آخرون أمثال ماركس هي التي ساهمت في بلورة النظريات العلمية التي عزلت الدين عن المجال السياسي والعلمي.

فمفهوم الحريات الإنسانية كلها عند باكونين بما فيها حرية التعبير وحرية الرأي، وحرية العمل يعتبر كل ذلك عند المتدينين ما يسمونه بالشيطان، أو أرواح الشياطين وهذا لكونها من المبادئ النضالية من أجل تحقيق حرياتهم والقضاء نهائياً على سلطة الكنيسة وهنا تجسد

قوله :

"الشيء الذي يسمونه بالشیطان في الديانة الحرة الإنسانية، عدم قبول أي سلطة المبدء الذي من أجله يدرك به الخير والشر".¹

فبرودون مثل باكونين وهذا من خلال فكره الفوضوي ضد الكنيسة، فقد لخص هذا الأخير فكرة الدين في مفهوم "الشعور المتشائم للحقيقة" فقد تجسد رفضه الكامل لمجمل الخطابات الدينية التي يعبر عنها رجال الدين فإن هذا الشعور المتشائم الذي حدده يظهر من خلال هذه الخطابات الدينية وهذا بمحاولة منهم إستغلال الظروف المأساوية التي تعيشها الشعوب وهذا بهدف السيطرة الكاملة على الجانب الفكري و الفزيائي تحت شعار "المغفرة الربانية" ففي نظر هذا الأخير أن محاولة إيقاض مشاعر الافراد، هي محاولة للقضاء الكلي على الجانب الفكري الإدراكي للفرد وهذا ما يتعارض مع حرياتهم، وهنا يمكننا أن نلمح إلي فكرة "صكوك الغفران" التي إبتدعها رجال الدين كوسيلة للتقرب إلى الإلاه فإن حقيقتها تكمن في تفكير المجتمع وتجهيلهم وهدفها الأساسي هو زيادة المؤسسات الدينية من أجل إخضاع الفرد لسلطتها .

-فبرودون يري أيضا أن الدين عاجز تماما على استعمال العقل، وهذا في كل المجالات وهذا نتيجة لمجمل التفسيرات الخيالية، والتي تتناقض تمام مع التفكير العقلي، هذا العجز كله يبين لنا أن الدين ماهو إلا وسيلة للقضاء على للحريات الفردية خاصة الفكرية منها فقال :

¹-هنري أفرون، باكونين الحياة ضد العلم، (بدون طبعة)، فلسفة كل الأوقات، باريس، 1966، ص60.

"فرايي بذلك الدين هو في الأخير عبارة عن الشعور المتشائم لكل الحقائق فإن أساسيتها هو الشعور الذي يظهر في طبيعتها ، عفويتها ، حججها، خرافاتها، عجائبها، منهجها، والإيمان فالدين هو محاولة بطريقتها الخاصة ،لجعل الأمور في صالحها ،وهذا بتحدثهم المتواصل عن طريق الخيال عن ظهور الكون بالملاحم الكبرى ،ووجود أشباح لاتقدر أن تظهر وأن تفسر بل إنها تكون تحت وطأة الرمزية، العجز والتعميم ،والتجريد وقمع الأذهان بحقيقة الجوهر"¹.

-فالرمزية عند برودون في العصور الوسطي كانت تساند الوجود الكنائسي وهذا من خلال التفسيرات التي قدمها رجال الدين للوجود هذه التفسيرات عند برودون هي من إحدي المبادئ التي أنتهجتها الكنيسة للسيطرة على الأفراد وذلك بمحاولة إبعادهم عن المجالات العلمية الأخرى التي تتناقض هذه التفسيرات ،ومن هنا فإن عند برودون هذه التفسيرات سوف تظل عاجزة في تنظيم المجتمعات البشرية بل إن، وجودها لن يضمن وجود حرية الأفراد فإن مجمل القواعد القانونية التي يجب على المجتمع أن يمتثل بها يجب أن تكون مماثلة لكل الحريات الفردية من عدل ومساواة .

وحرية فهي السبيل لتحقيق الوحدة البشرية وإلغاء كل سلطة التي من أهدافها الهيمنة لى الحريات الفردية داخل المجتمعات فمجمل القواعد الدينية التصوفية سوف تضع المجتمع ،في حقائق وهمية فتغلق بذلك المجال أمام حرية الأفراد في التفكير .

¹ -pierre-joseph proudhon, **justice et liberté**, présenté part jacques miglioni sous le titre de **les causes de l'oppression** ,édition bibliothèque philosophique,2004,p12

-ففي نظر برودون العلوم المادية السبيل الوحيد الذي يمكن المجتمعات البشرية من التحرر من

أي سلطة كانت خاصة الدينية منها، وهذا كله يتحقق بالثورة على مبادئ الكنيسة ورفض

مشارعها التي تقوم على أهداف لمراعات مصالحها الخاصة فقط وهنا تجسد قوله :

"يجب أن أقول على الكنيسة المسيحية التي تعلم التوايخ الشديدة يجب أن أقوم باللوم على مجمل

الحقائق التي تقوم عليها لماذا الكنيسة حكمت على كل شيء؟ الكنيسة أخطأت في العقيدة

والأخلاق، الأدلة المادية والرياضيات رفعت ضدها، يمكن أن لي خطأ أن أقول لكن للتأكيد من أنها

المصيبة الحقيقية، ولذلك أنها أيها السادة يجب علينا أن ندين الكنيسة"¹.

-فمن خلال هذا القول فبرودون يجسد لنا مختلف معالم الأنكارية، في خصوص نقده للدين ولذلك

فإن أهداف فكره يتجسد أساسا في محاولة التحرير من الجمود الفكري الذي ظهر عند الفرد

الأوروبي في القرون الوسطى، وهذا بعدما سيطرت الكنيسة على الجوانب الثقافية والاجتماعية وقد

كان هذا النضال الذي جسده برودون يقوم أساسا في نقل الفرد الأوروبي بصفة خاصة من

التفكير المثالي إلى التفكير المادي وذلك بتحفيز الفرد في الإشتغال في دراسة الوقائع الاجتماعية

والثقافية التي يعيشها .

-فإن قوة الدين حسب برودون تظهر من خلال السيطرة الكاملة على المجتمعات وذلك في

مختلف المجالات وهذا ما ظهر في القرن السادس عشر، أين كانت المركز الوحيد الذي كان يمثل

السلطة الحاكمة ومبدء كل القوانين وهذا ما مكن العلوم الدينية من الإنتشار وكانت الثقافة الوحيدة

¹ -pierre josephe proudon, qu est –ce que la propriété ?, 1^{er} édition, bibliothèque paul-boulet, québec, ,1840,p10.

ونفيت بذلك مجمل العلوم الأخرى إن تأثر برودون، بالفكر الفوضوي لتروبتكين الذي قدم أفكاره النضالية ضد القيصرية الروسية التي تحكمت لى مجمل المجالات وأخضعت الفرد إلى العبودية فقد عمل برودون بالمثل بالنضال ضد الحكم الملكي الفرنسي الذي يتعامل على أساس الأحكام الدينية التي تملئها الكنيسة عليه فقد كانت سيطرة هذه الأخيرة على مجمل المجالات قد جسدت النضال على أساس أنه تقرب للإله، وفيما يرضيه هو ومن أجل ذلك فإن تجاوز مثل هذه العوامل التي سيطرت على المجتمع الفرنسي خاصة و الأروبي عامة كانت من المبادئ الأساسية التي نادي إليها برودون وهنا تجسد قوله :

"هناك وقت أين كانت الديانات تمثل كل المجالات في المجتمع وقت أين كان الجميع يعرف الإله وبذلك فإنهم لا يعرفون أي شئ على الإقتصاد السياسي، أو العمل أو الملكية، هذه الأشياء موجودة بالفعل، ولكن الفكر الاهوتي تركهم في سبات فالعبيد كان يناضل من أجل الإله، مثل السرفافي القرن 17، فالبروليتاريا كانت تناضل من أجل أن تضمن العمل العمل الإلهي".¹

¹ -joseve prodhone, justice et liberté, OP.CIT, P18.

الدولة عند باكونين هو من المفاهيم التسلطية التي تعيق مسار الحريات الفردية في كل المجالات ولهذا فقد جسد أفكاره الفوضوية في الرافض المطلق لوجود الدولة بكل أشكالها واصفا إياها بالمقبرة التي تدفن فيها مجمل الحريات الإنسانية، فإن مفهوم هذه الأخيرة لا يتعدى مفهوم الكنيسة وأهدافها والتي تقوم على غايات معينة وأهداف تراعي فيها مصلحتها الخاصة فقط لا غير ذلك، فقد إعتبر كل المقومات السياسية، والقانونية التي تتجسد من خلال مفهوم الدولة، هي من الأسباب التي من أجلها فقد الفرد جميع حرياته وذلك بوجود الطبقة داخل المجتمع الذي يعيش فيه الفرد وهنا ظهر الصراع، بين الأفراد من أجل الملكية التي كانت قد ظهرت إثر فكرة العقد الإجتماعي الذي جسده النظريات المساندة لفكرة الدولة وعليه فقد وجه باكونين مختلف انتقاداته لفكرة العقد الإجتماعي خاصة الفكر الفلسفي لروسو في فكرة الملكية حيث أكد على بطلان هذه الأطروحة التي سلم بها روسو وعليه فإن هذه المساهمات الفكرية المساندة لفكرة الدولة ماهي إلا محاولة للسيطرة على الأفراد، والقضاء على إبداعاتهم وحقوقهم كلها هذا بعدة وسائل ومن بينها مراكز الشرطة، ومراكز التعذيب، وهذا دليل قاطع على بطلان الشعارات التي رفعتها مختلف النظريات التي تجعل الدولة كضرورة حقيقية للفرد ومنها (العدل، والمساواة، وحرية)، فإن هذه الشعارات كلها عند باكونين لم يتحصل عليها الفرد بل قد زادت من معانات الافراد في مختلف المجالات وهذا ما يظهر في ظهور طبقة الأغنياء، والفقراء في المجتمع ولذلك فإن السبيل الوحيد لتحرر الفرد من العبودية والإستغلال هو القضاء نهائيا على جهاز الدولة وعلى هذا الأساس تجسد قوله :

"لأن الحرية لن تكون إلا من خلال إلغاء البنوك الضرائبية للدولة، إلغاء كل ماله علاقة بالإدارة المركزية البيوقراطية ووسائل الأسلحة التي تستخدمها شرطة الدولة"¹.

- فمن خلال هذا القول نستخلص العقد الاجتماعي كان مخططا لوجود الدولة وهذا من أجل المحافظة على مصالح الأغلبية الغنية وإخضاع الأقلية إلى العبودية من أجل المحافظة على ممتلكاتهم وهذا ما يظهر من خلال فلسفة هوبز، وميكافيلي هذين الآخرين قد جسدوا مختلف الصلاحيات للسلطة الحاكمة وعتبروا الطبيعة البشرية شر كلها ولهذا فإن هذه الإدعاءات كلها عند باكونين هي نفسها التي ألغت جميع الصلاحيات للأفراد، وختاروا من يحافظ على مكانتهم لا غير ذلك فالفرد من خلال هذه الأفكار فقد أسىء فهم الطبيعة البشرية للأفراد فقد اعتبرها باكونين خيرة بطبعها كونها تقوم على أساس الأخوة، والتعاون وهذا ما تفسره لنا مختلف الشعوب الأولى فمصطلح الدولة هو الذي غير مبادئ الإنسانية كلها فحولتها إلى موضع مراقبة وإستغلال وهيمنة وإنشاء جيوش لحماية مصالح الطبقة الأولى فمسألة الحدود هي مسألة الحفاظ على المصالح وهنا ظهر الصراع بين البشرية كلها وعلى هذا الأساس قال :

"ليست لها إلا إنشاء جيش الذي يعتبر الأعلى لها كونه يطيع كل إيديولوجية سياسية، ولا يناقضها وهو منشأ للحرب فقط ،حرب من أجل الدفاع عن المشرف،حرب من أجل الجود الطبيعة حرب الدول ضد الدول ،شلال من الدماء البشرية كل ذلك من أجل تلبية رغبة الحاكم، وإمتهاراته التي سوف يقدمها لهم كأغنائهم لكي يؤدبو الشعوب ويملؤون التاريخ"

¹ -mikhail bakounine, ouvre fédéralisme socialisme, OP.CIT.p65

-إن التحولات السياسية التي شهدتها فرنسا في القرون مابعد الوسطي أين تحول الحكم الوراثي قد جسد الحكم الديكتاتوري، الذي سيطر على مختلف المجالات الإجتماعية والإقتصادية وعلى هذا الأساس فقد فقد الفرد الفرنسي كل حقوقه في الحرية خاصة الثقافية منها ومن هنا قال :

"فرنسا فقدت حريتها، فرأينا كيف أن جمهوريتها الديمقراطية قد تحولت إلى ديكتاتورية، وإلى ديمقراطية عسكرية فإن السبب الوحيد الذي ألت إليه فرنسا هو المركزية السياسية التي سيطرت على مقاليد الحكم ذلك التلاعب السياسي الذي قاده المركزية السياسية"¹.

فحسب باكونين فالأفراد لم يختاروا نوعية هذا الحكم بل إنهم محتمون أن يكونوا تحت وطأة الحكم العسكري الذي عمل تطويق الحريات الفردية، وضع القوانين التي توافق مصالح السلطة الحاكمة وعلى هذا الأساس فقد قضت على مختلف أشكال المظاهرات التي تطالب بمختلف الحقوق التي سلبتها لهم السلطة الحاكمة وهذا بمختلف الأشكال، وعلى هذا الأساس فإن تحقيق الحرية لدى الافراد عند باكونين هي الثورة الكاملة لى أجهزتها فإن هذه الثورة عند هذا الأخير لا يجب ان تكون ضمن فئة من الأفراد بل يجب أن تكون عالمية، فإن عدم وحدة الثورة فإنها لا يمكن أن تحقق أي نتيجة إيجابية وبذلك يسهل للدولة من القضاء عليها، وهذا كله سوف يصيب الافراد بالعجز الكامل أمام تحقيق حرياتهم فإن الدولة تقوم على فرض هيمنتها بعدة وسائل وذلك يظهر من خلال مؤسساتها المختلفة خاصة العسكرية منها والدينية ونظرا لكل هذه الضغوطات سوف ينتهي بالفرد لأن يكون تابعا للدولة، وشريكا لها في القتل وإبادة الآخرين والذين يعرفون بالمرتزقة وهنا تظهر الفجوة بين المجتمعات البشرية من حروب أهلية إلى حروب عالمية وهنا

¹ -mekhail bakounine ouvre fédéralisme socialisme.OP.CIT,p42.

تجسد قوله :

"المركزية والتقدمية، التليغرام، الأسلحة النووية، الهيئة الجديدة للأسلحة، وعامة العلوم الإدارية، كل ذلك يعطي اليوم للدولة القوة الكبرى للقضاء على الثورة العفوية، الشعبية و الإجتماعي".

نقد نظرية ماركس حول الدولة :

-إن مختلف الترجمات التي قام بها باكونين للفلسفة المادية لماركس ظهر لدى باكونين التناقض الموجود بين دعوة ماركس إلى الحرية من جهة، وتأكيديه على أن نهاية الدولة سوف يكون على شكل مراحل تاريخية فحقيقة الأمر فمبدء صراع الأضداد، ومبدء النفي في الفلسفة الماركسية يجسد نهاية حكم وظهور حكم آخر جديد وهذا ما يثبت أن الدولة لن تنتهي وهنا ظهر الخلاف بين ماركس وباكونين فقال باكونين :

"بالنسبة لي لو تعلم ،عندما كنت أترجم المادية الإقتصادية لماركس علمت مسبقا أنني في تقدم

ب300 روبل ،وعندي أيضا 600 لم أمسهم،قرعت برودون، والفلسفة الإيجابية لكانت،وفي وقت

فراغي أكتب كتابي أكد فيه إزالة الدولة"¹.

-فمن هذا القول نري الإلتقاء الفعال بين فلسفة برودون وباكونين في الرفض الكامل لسلطة الدولة

بكل أجهزتها ومراحل النهاية التاريخية التي حددها ماركس.

-فقد إعتبر باكونين مراحل نهاية الدولة عند ماركس ماهي إلا محاولة لتمثيل الجموع الشعبية

¹-حسينة كباش،نقد النظرية الماركسية حول الدولة باكونين،الحوار المتمدن،دمشق،العدد 3586،ديسمبر 2011،ص02.

للشيوعية وذلك من خلال دعوته إلى اشتراكية، وسائل الإنتاج للعمال هذا المبدء الذي ساهم في وجود المذهب الشيوعي فيما بعد الذي طوره لنين، وغيره فوجود الدولة عند باكونين لا يمكنه أن يضمن العدالة والحرية للمجتمعات البشرية وهذا من خلال وجود الأقلية المستبدة في الحكم التي تقوم على المحافظة على مصالحها الخاصة فقط دون الآخرين .

-فالماركسية عبارة عن حلقة تقدمية لتاريخ الدولة وهذا ما يظهر في المراحل التاريخية التي نشأت عليها الدولة وهذا بالإنطلاق من الصراع الطبقي الذي جسده ماركس وعلى هذا الأساس فقد إعتبر باكونين أن كل الإشتراكيين، والليبراليين الذين يتظاهرون بالمأخاة، والتضامن مع الشعوب عبارة عن أسلوب يبتدعونه من أجل تحقيق مصلحة معينة، وهذا بهدف تأييد وجود الدولة فالطبقة البروليتارية التي يدافع عنها ماركس في الحقيقة لا يمكن أن تتجسد حريتها طالما كان مفهوم الدولة موجودا بل بالعكس سوف يتعرضون للإستغلال والهيمنة ولذلك قال :

"النظرية الماركسية تحل بشكل بسيط هذه المعضلة فبقبولهم حكم شعبي يقصدون حكم أقلية ممثلة،منتخبة،من قبل الشعب والكلمة الأخيرة للماركسيين،والديمقراطيين،وهو عبارة عن كذبة خلقتها الأقلية السائدة"¹

-إن الثورة البروليتارية لا يمكن أن تتحقق إلا إلغاء مفهوم السلطة بكل إشكالها وخذه الأخيرة عند باكونين يجب أن تكون ضمن المشاركة الكلية للعمال في واحد وعلى هذا الأساس كله قد رفض وجود الدولة البروليتارية التي نادي إليها ماركس فوجودها سوف يشكل العبودية للآخرين ضمن مصطلح الدولة وخاصة الموجودة ضمن الحكم الجمهوري،والشيوعي ولذلك فالدولة عرض

¹ - gaston leval, bakounine et l'état marxiste , (son édition),les cahiers de contre-courantparis,1955,p02.

غير إيجابي بالنسبة للبروليتارية والجماهير الشعبية فوجودها سوف يساهم في ميلاد مؤسسات ونظريات إستغلالية إما رأسماليين، ملاك الأراضي ومن هنا قال :

"الدولة وخاصة ليست هناك دولة حديثة في الوجود لأن ما يسمي الثروة الوطنية بعيدة عن الإنتماء للشعب في حين ثروات الطبقة المحضوة تشكل قوة"¹

إن إنتقال الحكم من طبقة من الطبقات وحتي لو كانت البروليتاريا فإنها سوف تكون السلطة التي تمارس هي بدورها الهيمنة على الآخرين فإن طبقة البروليتاريا، عند باكونين هي من الطبقات الموحدة التي تقوم بدعم الجماهير من أجل النضال ضد الوجود المفاهمي للدولة، ولذلك يؤكد بكونين على أهمية الإهتمام بالمجتمعات الريفية من أجل القضاء، على الطبقة في الوسط الإجتماعي .

إن توزيع الملكية على الدولة التي سوف تشارك الأفراد في أملاكهم سوف يؤدي بطبيعة الحال إلى إستغلال وقهر الأفراد وحرمانهم من ممتلكاتهم، وهنا سوف يصبح الفرد خادما للدولة من أجل الحصول على حقوقه مرة أخرى وعلى هذا الأساس نجد أن ماركس قد قضى نهائيا على حرية الأفراد وهذا في مجال الحصول على ملكياتهم ولذلك قال :

"إن الدولة الشعبية الكاذبة ليست إلا إستبدادا رقابي للسكان من قبل فئة قليلة من العلماء الكاذبين، والناس الغير المنتمين سيتحولون إلى قطيع منضبط و يالها من حرية"²

1-gaston leval, bakounine et letat marxiste, OP.CIT, p07.

2 -mikhail bakounine, etatisme et anarchie, (son edition), revus suisse, 1873, p06.

-فابرودون يؤكد أن الحرية هي المبدأ الوحيد، الذي سوف يضمن للإنسان التكامل الاجتماعي، والذاتي وهذا بالقضاء نهائيا على أي سلطة تحددها مؤسسات الدولة، بكل أنواعها فإن الحرية هي من الحقوق الطبيعية للإنسان، فلا يمكن لأي واحد أن يتعدى على حقوق الآخر، إضافة إلى ذلك فجميع المآسي التي تعيشها الإنسانية بصفة عامة، والفرد بصفة خاصة قد ظهر في النظرية الأولى التي سلمت بوجود ملكية خاصة، ووصفت الطبيعة البشرية بالشر، وعلى هذا المنوال ظهرت الحروب، والصراعات بين أفراد المجتمع نفسه، والمجتمعات البشرية بصفة عامة فهنا بدأت حسب برودون صراع الطبقات، التي تقوم على الملكية الخاصة التي يشكلها أصحاب النفوذ والسلطة الذي يعرف بـ"الإستقرابية" والطبقة الأدنى التي يشكلها الفلاحين، الحرافيين، هؤلاء كلهم حسب برودون يتعرضون للقمع والعبودية، من طرف الدولة وهنا ظهرت مراكز خاصة تحافظ على أملاك الطبقة الغنية، فالشرطة والجيش العسكري ماهم إلا حماة لأملاك هذه الطبقات الغنية في المجتمع فقضية السجون ومراكز التعذيب قد أنشأها أولئك الذين سيجوا الأراضي، وجميع الملكيات الخاصة، من أجل حمايتها ضد الأفراد المطالبين بحقوقهم وهن قال :

"الحرية حق ينتمي للإنسان إليه، وهذا الحق يخلوا من أي شيء من سوء المعاملة ولكن علينا التمييز بين نوعين من الإساءة الأولى كل أولئك الذين يعانون من عواقب، وحدة الإساءة، وتتألف الثانية كل التجاوزات التي تنتهك حق الآخرين الحق في الحرية في الإستخدام لمجاني للأرض أو المواد".¹

¹ -pierre-joseph proudhon, théorie de la propriété, la bibliothèque panl-émile-boulet, 1862, p22.

فهذا القول الذي أشار إليه برودون يؤكد من خلاله أن الفرد لن يشعر بحريته مادامت الدولة موجودة، حيث تفرض هيمنتها الإستغلالية على الأفراد، وبذلك فهي في طريقها للقضاء على حرياتهم كلها فإن السبيل الوحيد للخروج من هذه الهيمنة التي تجسدها الدولة هو الثورة الجماعية على مؤسساتها ورفض كل مشارعها كلها، فقبول هذه المشاريع سوف تعرض حرية الأفراد كلها إلى الهلاك التام، ولذلك قال :

"أن يكون الفرد نفسه فالمجتمع ليس له الحق في التدخل، فإن تدخل فإنه سوف يسيء، فالفرد هنا لا يجب أن يقبل شراكة أخرى دون غيرها، سوف يكون عبدا، وفاحشا إن قبل بشراكة بوليسية أخرى من غير حريته"¹

فبناء الدولة في نظر برودون قد إعتد على جملة من المخططات التي مهدت إليها النظريات السياسية والإقتصادية، ساهمت في تطوير هذه النظرية وهذا مانجده في نظريات "أدم سميث" و"روسي" و"دوبون نمروس" الذين جسدوا الطبقة داخل المجتمع البشري، وعلى هذا الأساس فقد أعطوا الأفضلية للطبقة الغنية على الطبقة الأخرى التي خضعت للإستعباد، والإستغلال وذلك بتجنيد مختلف الوسائل لتحقيق ذلك فقد كانت الأنظمة القانونية من الوسائل المهمة في ذلك وأهمها قانون الضرائب، فالفرد كان مجبرا على دفع ضريبة، على ممتلكاته وهذا بإلزام أصحاب الأراضي والمزارع إلى دفع ضريبة أكبر فحسب برودون، فقد كانت هذه من المخططات الرئيسية للدولة وذلك في سبيل بناء مؤسسات خاصة بها تساهم في حماية مصالحها فتضع الفرد في عزلة كاملة على إدراك حقوقه، فإشكالية الضرائب ماهي إلا وسيلة تجعل الدولة مصدر خوف يجب

¹ -Mikhail Bakounine, etatisme et anarchie, op.cit, p14.

طاعتها ولذلك قال :

"الدولة تمتص كل عام لقضاء حاجياتها في ضرائب الإيجار وهذا لسببين أولها تقوية الإنفاق الحكومي وثانيا من أجل أن تضمن إعترافا لها".¹

¹ -josephe prodon,théorie de la propriété,OP.CIT ,P33.

الخلاصة

خلاصة

من هذا الفصل نستخلص أن فكرة الدولة، في حد تعبير باكونين مقبرة تدفن فيها كل الحريات الفردية وعليه فإن العودة إلى الحالة الطبيعية هي من المبادئ الأساسية لتحقيق الحرية، وذلك برفض مؤسسات الدولة خاصة الدينية منها، وذلك لكون هذه الأخيرة المؤسسة المكتملة لجهاز الدولة فكلاهما، يعملان بكل الوسائل من أجل السيطرة على الأفراد.

الذاتمة

خاتمة

إنطلاقاً من كل ما ذكرناه يمكننا أن نستخلص بعض الملاحظات، والتي تتعلق بالإشكال المطروح والذي يتمثل في سبيل، وجود الحرية في ضل الدولة فإن هذه المسألة تتلخص في رفض باكونين وجود أي دولة كانت كونها الجهاز المهيمن على هذه الحريات فإن الديكتاتورية هي أحد الأنظمة السياسية للدولة التي من خلالها عان الفرد من قتل، وإضطهاد ونهب وإستغلال وهذا ماظهر في كل من فرنسا، وروسيا وغيرها من الشعوب ولذلك فإن مجال تحقيق هذه الحريات في نظر باكونين تتجسد بصورة واضحة، من خلال الثورة التي يقودها الأفراد ضد الدولة ومؤسساتها.

-مجال الحرية أوسع فقد تطرقنا إلى عرض فكر باكونين عن حرية العمال التي إعتبرها من أهم المسائل التي أكد من خلالها أن التضامن، والتعاون الذي يحققه العمال من خلال المجلس الأعلى للعمال سوف يضمن لهم جميع الحريات، وذلك لكونه سوف يدافع عن جميع حرياتهم بالقضاء التام على الهيمنة البورجوازية والدولة بصفة عامة.

-فكرة الدولة عند باكونين عبارة عن الشر، والخيبة للحريات الفردية سواء في الماضي أو الحاضر ولذلك فإن مفاهيم العبودية، والإستغلال قد ظهرت من خلال هذا الفهوم أي الدولة ومؤسساتها فالدين يعتبره من أهم الوسائل التي تعتمد عليها الدولة لنشر الجهل، والعبودية في الوسط الإجتماعي حتي يتسني للدولة السيطرة على الأفراد وإستغلالهم.

-في الأخير يمكن أن نقول أن الحرية هي ميزة تخص الكائن البشري، ولا يمكن سلبها لأن ذلك يعتبر إهانة لكرامة وحياة البشر، وعليه فإن كل القوانين التي تضعها الدولة فلها غرض واحد، وهو السيطرة على الأفراد من أجل حماية مصالحها الخاصة .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-قائمة المراجع باللغة العربية :

- 1- مازن الماز، الأخلاق فضائل الدولة لميخائيل باكونين، أبحاث يسارية وإشتراكية وشيوعية، دمشق، العدد 2554، فيفري 2009.
- 2- لاين ماكاي، كتابات باكونين، ترجمة حسين دبوق (بدون طبعة)، الأرشيف الأنكاري العربي.
- 3- هنري أفرون، باكونين الحياة ضد العلم، (بدون طبعة)، فلسفة كل الأوقات، باريس، 1966.

-قائمة المراجع باللغة الفرنسية :

- 1- F.Vynceke, L'influence idéologique de bakounine en Italie le conflit avec marks et mazini, (son idition), yougouslavè, 1957.
- 2- jaques rancière, la critique anarchiste de la démocratie :bakounine et le moment michiavilien, (son idition), bibliothèque DE Université nancy2, 2011.
- 3-gaston leval, bakounine et l'état marxiste , (son edition), les cahiers de contre-courantparis, 1955

-المجلات :

- 1- حسينة كباش، نقد النظرية الماركسية حول الدولة-باكونين، الحوار المتمدن، دمشق، العدد 3586، ديسمبر 2011.

-مذكرات التخرج :

- 1-jean-christophe ancaut, "l'èbertè et histoire chez mikhaïl bakounine :thèse de doctorat, école doctorat "langage, temp, société, université nancy2, 2005, p242

- 1- mikhail bakounine,status secrets de l'alliance,(son edition),paris ,1868
- 2- mikhai bakounine,circulire a mes amis d'itali,bibliothèque sociologique.n°4 ,p-v stock,paris,1871
- 3- mikhail bakounine,a mes amis russes et polonais,(son edition),1862
- 4- mikhail bakounine,œuvres completes, son idition,vol.8,1869.
- 5- mikhail bakounine,théorie générale de la révolution ,textes assemblés et annoncés par etienne lesourd ,edition les nuits rouges,paris,2008,parus1871.
- 6- mikhail bakounine,lettres a un français sur la crise actuel,1870.
- 7- Mikhail bakounine,man society ,and freedom , Russia: Bakunine on anarchy ,1871.
- 8- mikhai bakounine,la morale de l'état ,edition marxiste,genève,1873.
- 9- -Mikhaïl Bakounine lettre a Elisée reculs, traduit par(SAM pouglof 1971),.suisse,edition :bakounine on anarchy, 1875.
- 10- mikhail bakounine,l'empire knouto germanique et la révolution social,genève,edition carouge,1870.
- 11-mikhail bakounine,la commune de paris et l'ideè de l'état,geneve,edition bakounine on anarchy,1871
- 12- Mikail bakounine pour les camarades de l'association des travailleurs,collectives locales et chaux –de – fonds ,geneve,journal de progrèe ,1869.
- 13- Mikhail Bakounine,L'instruction intégrale,(son source),edition :l'égalité n°28,chapitre1,1869
- 14--mikhail bakounine,politique de L'internationale,collection philosophie,edition 1 ,1870
- 15- mikhail bakounine,solidarity in liberty the workers path to freedom,(son idition),uknow,london,1867
- 16- mikhail bakounine,trois confèrence faites aux ouvriers du val de saint-imier,canevas edition,suisse ,1871
- 17- mikhail bakounine,fédéralisme,socialisme et antithéologisme,aux compagnons de dieux et l'état,lettres sur la patriotisme, édition5,tom1,bibliothèque sociologique,n°4 ,paris,1895.

- 18- mekhail bakounine **„l'etre a ruech’’l'etat et la liberté’’**,1871.
- 19- mekhail bakounine,**catèchisme rèvolutionnaire**, (son edition),archives-ouvertes,paris, 1865.
- 20- mikhaïl bakounine,**dieux et l'état**,edition :carlo cafero,paris,il et aparus pour la premiere fois en 1882.
- 21- mikhaïl bakounine,**l'ettre du 08 dècembre1860 a herzen**,expotè de wiki source irkoutsk.
- 22- pierre-joseph proudhon,**justice et liberté**,presentè part jacques miglioni sous le titre de **:les causes de l'oppression** ,edition bibliothèque philosophique,2004.
- 23- pierre josephe proudon,**qu est –ce que la propriété ?**, 1^{er} èdition, bibliothèque paul-boulet,quèbec, ,1840.
- 24- mikhaïl bakounine,**etatisme et anarchie**,(son edition),revus suice,1873.
- 25- pierre-joseph proudhon,**thèorie de la propriété**,la bibliothèque panl-èmile-boulet,1862.

الفهرس

الفهرس

06.....	مقدمة
10.....	-الفصل أول الحرية الفردية ما بين الإرهاب السياسي والثورة
11.....	تمهيد
12.....	الديكتاتورية والسياسة أمام مسار حرية الأفراد
20.....	الثورة وحرية الأفراد
32.....	الخلاصة
33.....	-الفصل ثاني حرية العمال ومبدأ الاستغلال
34.....	تمهيد
35.....	مصير حرية العمال في ظل وجود الدولة
43.....	الهيمنة البورجوازية في تبديد مسار البروليتاريا
54.....	خلاصة
55.....	-الفصل الثالث الدولة والدين ومصير حرية الشعوب ما بين (باكونين وبرودون)
56.....	تمهيد
57.....	الدين ضد حرية الشعوب
66.....	سلطة الدولة وتكريس مبدء العبودية
69.....	نقد نظرية ماركس حول الدولة
75.....	خلاصة
77.....	خاتمة
79.....	قائمة المصادر و المراجع
83.....	الفهرس